

محاكمة العلوي والخفاش

مصطفى الأنصاري

العبيكان
Obekon

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الأنصاري، مصطفى محمد

محاكمة العلوي والخفاش./ مصطفى محمد الأنصاري.-

الرياض، ١٤٢٩هـ

١١٤ ص؛ ١٤ × ٢٠ سم

ردمك: ٩٧٨-٩٩٦٠-٥٤-٤١٩-٩

١- الأدب العربي - نقد ٢- الإسلام - دفع مطاعن

أ- العنوان

١٤٢٩/ ٧٠٤

ديوي ٨١٠

رقم الإيداع: ١٤٢٩/ ٧٠٤

ردمك: ٩٧٨-٩٩٦٠-٥٤-٤١٩-٩

الطبعة الأولى

٢٠٠٨م / ١٤٢٩هـ

حقوق الطباعة محفوظة للناشر

العبيكان
Obaikan

التوزيع: مكتبة

الناشر: العبيكان
Obaikan للنشر

الرياض - العليا - تقاطع طريق الملك فهد مع العروبة

الرياض - شارع العليا العام - جنوب برج المملكة

هاتف ٤١٦٠٠١٨ / ٤٦٥٤٤٢٤ فاكس ٤٦٥٠١٢٩

هاتف ٢٩٣٧٥٧٤ / ٢٩٣٧٥٨١ فاكس ٢٩٣٧٥٨٨

ص.ب ٦٢٨٠٧ الرمز ١١٥٩٥

ص.ب ٦٧٦٢٢ الرمز ١١٥١٧



الشكر

إلى الأخ حسن العلوي الذي يرقد لحظة كتابة
هذه السطور على السرير الأبيض، وهو يدفع
ثمن مواقفه الشجاعة.

وإلى الزميل حسن مفتي (الخفاش الأسود) الذي
صمد على موقفه بالرغم من مرارة جفاء بعض
أصدقاء أمس وخذلان النخب!



المحتويات

الصفحة	الموضوع
٩	مقدمة
١١	ما يعتذر منه
١٣	هوناً ما
١٧	الجماهير البهت
٢٢	النخب العاذلة والخاذلة
٣١	حسن العلوي هيكل صدام وعاشق عمر
٣٣	العرب باعوا (شيعتهم) بلا مقابل
٣٩	دم «صدام» في رقبة هؤلاء!
٤٢	مشروع مقاومة «العجم»!
٤٧	كنت مع المشروع الأميركي!
٤٩	فقه «السيستاني» سني وليس شيعياً
٥٣	الصراع حين يكون على «العدو» .. لا معه!
٥٦	الشيعة أكثر تسامحاً من السنة!؟
٥٩	مساكين يبحثون عن «الجنة»!
٦٢	انتفض الملك عندما أبلغته رسالة الأميركيين
٦٩	كتابي أهدر دمي!
٧٢	دستور العراقي الحالي تشويه للفيدرالية
٧٣	القطيعة ستحاصر الشيعة العرب
٧٧	لو أعتمد الانقلاب لربحت السنة والشيعة معاً
٨٣	(الخفاش الأسود) هتلر الساحات والسليط الساخر ...

الصفحة	الموضوع
٨٦	قصة العشق والاعتزال!
٨٨	الاعتزال الصعب
٩٣	مراحل وتحولات على الطريق
٩٦	الساحة مرحلة انتهت
٩٨	يد الصفح ممدودة لخصومي
١٠٠	ودعت الأشباح؛ لأظهر باسمي وصورتي!
١٠٣	أفغانستان تجرية (خلافة)
١٠٥	قلت هذا ليس مكاني
١١٠	أفغانستان أصبحت عاراً يلاحقنا
١١٢	قرار غير خاضع للمساومة



مقدمة

هل أحتاج لتبرير إخراج «محاكمة العلوي والخفاش» إلى النور، والقراء المعنيون بالأمر، هاهم يلتهمون الرجلين حياً وكرهاً؟ إنني لكثرة ما لمست من تفاعلٍ مع حوارِي: هيكل صدام حسن العلوي، وهتلر الساحات حسن مفتي أو «الخفاش الأسود»، قررت كشف النقاب عما لم ينشر من حديثهما، ووضعه مع الذي نشر على قارعة التاريخ وبين أيدي القراء.

كما أن ظاهرة «العلوي والخفاش» في حياتنا المعاصرة، أجدها جديدة بالنقاش، إلى جانب إفلاس الجماهير بالجملة في التعبير عن حب أو كره موزونين. ناهيك عن النخب التي تمعن في عدل وهجاء الخارجين عن حياضها، حتى إذا عادوا نبذتهم ﴿كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِّنْكَ﴾ (الحشر: ١٦).

مصطفى الأنصاري

«صحافي»

amustfa@hotmail.com

ما يعتذر منه

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾

(البقرة: ١٤٣)

أدري أن الشخصية العراقية البارزة في الموالاتة والمعارضة حسن العلوي، ربما يتأفف من وضعه في كفة، على التي تقابلها شخصية نكرة في رأيه، وشاب صغير بالنسبة إليه، يتردد تاريخه بين مسجد الفريان وقرى بيشاور، فمنتدى الساحة العربية. فيما هو يعد نفسه ويعتبره محبوه الكاتب والمثقف والمؤلف الذي كان رقماً صعباً أينما حلَّ في العراق ولندن وسوريا والرياض.

وأدري أن إمام المصلين والحافظ لكتاب الله والساخر السليط حسن مفتي الذي فاخر في توضيح نشره بعد حوار معي معه في منتداه السابق بأنه يتقرب إلى الله بفضح مخالفه ممن يصفهم بالعلمانيين والليبراليين «وهتك أستارهم والسخرية بهم وتسفيه أحلامهم، ومقارعتهم بالسنان واللسان»!!، ربما يستتلف من وضعه في سلة واحدة مع شيعي يفاخر بمذهبه وعلمايته، مهما كان منصفاً وموضوعياً!

لا يغيب عني ذلك حين قررت جمع الرجلين في دفعة واحدة، ولو شئت لقلت: «إن المصادفة التي جعلت والديهما يطلقان عليهما اسماً واحداً والتي جمعتهما في (دار العبيكان) حين نشرت للأول «عمر والتشيع» ولثاني «انتحار حمار»، وفي صحيفة «الحياة» التي نشر فيها حوارٍ معهما (عام ٢٠٠٧)، هي نفسها التي قرنتهما هاهنا».

كم سيكون ذلك مندوحة عن الوقوع في فخ النقاط المشتركة بين الحسنيين، لولا أنني سأعده من داخلي هروباً لا أستسيغه.

أما النقاط المشتركة بين حسن العلوي وحسن مفتي، فهي كثيرة غير أنني أكتفي بواحدة، هي التي دفعتني لوضعهما بين غلافين، من دون شخصيات كثيرة أجريت معها حوارات أطول وأكثر إثارة.

النقطة هي أن كليهما «كان في وسط مرعب، قرر الخروج منه نسبياً فهدّ يداً لمصافحة وسط جديد، قد لا يكون ثمن مصافحته بالضرورة الكفر بنبلاء الماضي وأشقيائه على حدٍ سواء». فليس معقولاً أن يكفر العلوي ببغداد ولا بأئمة أهل البيت، ولا أن يقدم مفتي الشوك لبعض أصدقائه الذين زرعوها في طريقه الورد، حتى بعد أن قرر الرحيل عنهم.



هوناً ما!

إن العبرة الأولى والثانية، وتعداداً حتى الألف من تحول الرجلين، كانت في حكمة سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه حينما قال: «أحبب حبيبك هوناً ما، فعسى أن يكون بغيضك يوماً ما، وأبغض بغيضك هوناً ما، فعسى أن يكون حبيبك يوماً ما». والعبرة الأكثر أهمية هي «كيف سيكون حسابنا يوم القيامة؟ وكيف سيقف الناس منا يوم الدين؟ وكيف سينقلب علينا الخلان والمصفقون إلى شهود يدينوننا يوم الدين؟! وإذا كان هذا اليوم وهو في الدنيا مُرّاً وصعباً فكيف يوم الدين؟» كما يشير كاتب في المنتدى نفسه، عقب على اعتزال «الخفاش» الكتابة فيه.

وكأنني بهاجس الرجلين أكثر ما يكون حول الطريقة التي سيقابلان بها شخصاً كانا بالأمس قد أساءا إليه، خصوصاً مفتي، الذي لم يبرح المجتمع الذي يختار ضحاياه من بين أفراد أيام تفردته في الساحة بسلخ من ينتقيهم على طريقة أقرب إلى الشواء منها إلى النقد الموضوعي والتقويم المنهجي.

وفي أثناء طبخ مفتي قرار اعتزاله الساحات، والمنهج النقدي الذي كان يتبناه فيها، اتفقنا أنا وهو على أن أحدنا لو سلك منهجاً وسطاً في حبه وكرهه ومدحه ونقده، لما واجه حرجاً في التحول عن موقفه، إذ على قدر أخذ المرء بقيمة «العدل» الذي يفسر «الوسطية» يكون قدره من الحظوة باحترام المختلفين معه والمؤيدين، ويجد أذن صاغية ممن أقبل عليهم بوجهه ويحظى بتفهم من ولاهم الأدبار.

وإذا كانت هذه المسألة في ظني محل اتفاق، فإن البشر جميعهم بطبعهم وجبلتهم معرضون لتغيير مواقفهم، وآرائهم، وتوجهاتهم وولائهم، ومعتقداتهم أحياناً، ﴿يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَعِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾ (الرعد: ٣٩)، فإن العاصم من الحرج أمام الله والخليقة هو سلوك العدل والوسط فيما يأتي المرء وما يذر ما استطاع، وإلا فإن الثبات على رأي أو توجه ما، فضلاً عن كونه مستحيلاً في الغالب، هو ليس بالضرورة أن يكون خلقاً رفيعاً، أو فعلاً سديداً.

وأي مجتمع أو جمهور ذلك الذي يتفهم مقاصد شخص، يدج فيه المدائح، ويتلو فيه الشعر والنثر، ويصم آذانه عن مثالبه، فيما يفتح كل مخرج قلبه وجسده لمحاسنه، ويبحث لزلاته عن التأويل الحسن، حتى إذا عن له ذلك، نكص على عقبيه، نقضاً للمديح بالهجاء، وللمحاسن بالمثالب. أي بشر مجتمعاً كان أو دولة أو فرداً يستوعب هذا أو يعيه؟

وكم ستحتاج قبلة المتطرف في حبه أو كرهه الجديدة، من حلم حتى تصفح عن شخص أوسعها ذماً وقدحاً، وجنى عليها قولاً وفعلاً، وجعلها مثل السوء؟

بل أي جهة ستصدق ولاء أو صدق شخص تلك سجاياه، حتى لو لم تكن نالها من تركته نصيب؟

وكم قلباً سيتغلب على أضغانه ويحتضن شخصاً كان أبغض إليه من الشيطان بالأمس، جراء ظلمه ومقته؟ ومن ذا الذي يتفهم ذرائع خليله حين يقرر هجره والتحول بقلبه وجسده إلى جبهة أخرى؟ كمثال زوج صارح زوجته على حين غرة بأن عهدا ولّى إلى غير رجعة، وأن أخرى غيرها «حلت مكانها أو أبلغ، من الجسد والقلب الحنون»، على حد قول الآخر:

محا حبها حبّ من كنّ قبلها... وحلت مكاناً لم يكن حلّ من قبل!

وفي القديم والحديث نجد قصصاً، ترصد حالة التوتر والقلق التي تغشى نفراً قرروا تغيير مواقفهم طوعاً أو كرهاً، ولكن لأن تلك المواقف كانت موعلة في الإسراف واجهوا عقبات في سبيل إقناع الآخرين بصدق نواياهم، أو الصفح عن ماضيهم. وكثيراً ما احتاج الشعراء الذين يقعون في مثل هذا الفخ إلى معجزة بيانية تستنزل رحمة من يملك أخذهم بذنوبهم، كما حدث مع الصحابي الجليل كعب بن زهير، لما هجا النبي ﷺ وهرب، فلما ضاقت به الأرجاء، جاء

معتزراً في قصيدة، عُدت من عيون الشعر العربي، كان ثمنها أن عفا
عنه النبي الحليم ﷺ.

وهي مواطن كما تضطرب فيها أجساد المعتذرين خوفاً ورهبة
من الاقتصاص، تهتز فيها قلوب الكرام حلماً وعضواً، إذ كانت العرب
تعيب أخذ المذنب المعتذر بما مضى. وفي التنزيل: ﴿عَفَا اللَّهُ عَمَّا
سَلَفَ﴾ (المائدة: ٩٥)، وفي الحديث: «أذهبوا فأنتم الطلقاء».



الجماهير البمت

﴿ لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ۖ وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ﴾

(القيامة: ١، ٢)

إذا كان الرجل الرمز أو الصنم أو المتبوع، لا فرق، يحتاج إلى لزوم الوسطية في حال المعارضة والموالاتة، تحسباً لغير الزمان وتركاً لخط الرجعة حسب التعبير المستهلك، هذا بغض النظر عن المثل والخوف من الله، فإن حاجة الجماهير إلى القصد في اتباع المخلوقين والانبهار بكراماتهم وفتوحاتهم أشد وأكد .

ولكن المؤسف أنه رغم التسليم بوجود شرائح تشذ عن القاعدة، فإن معظم الجماهير الإسلامية والعربية، هي إلى الصفة التي نعت عبد الله بن سلام رضي الله عنه بها شرائح من اليهود أقرب وألصق، وكان من خبره ما روى بن إسحاق أن ابن سلام قال: «لما سمعت برسول الله صلى الله عليه وسلم عرفت صفته واسمه وزمانه الذي كنا نعرف، فكنت مسرّاً لذلك صامتاً عليه، حتى قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فلما نزل بقباء في بني عمرو بن عوف أقبيل رجل حتى أخبر بقدمه وأنا في رأس نخلة لي أعمل فيها وعمتي خالدة ابنة الحارث تحتي جالسة فلما سمعت خبر

قدوم رسول الله ﷺ كبرت، فقالت لي عمتي حين سمعت تكبيري: خبيك الله والله لو كنت سمعت بموسى بن عمران قادما ما زدت، قال، فقلت لها: أي عمه، هو والله أخو موسى بن عمران وعلى دينه بعث بما بعث به، فقالت: أي ابن أخي، أهو النبي الذي كنا نخبر أنه يبعث مع الساعة نفسها؟ قال فقلت لها: نعم قال فقالت: فذاك إذن. قال: ثم خرجت إلى رسول الله ﷺ فأسلمت ثم رجعت إلى أهل بيتي فأمرتهم فأسلموا.

قال وكتمت إسلامي من يهود ثم جئت رسول الله ﷺ فقلت له: يا رسول الله، إن يهود قوم بهت واني أحب أن تدخلني في بعض بيوتك وتغيبيني عنهم ثم تسألهم عني حتى يخبروك كيف أنا فيهم قبل أن يعلموا بإسلامي، فإنهم إن علموا به بهتوني وعابوني قال فأدخلني رسول الله ﷺ في بعض بيوته ودخلوا عليه فكلموه وساءلوه ثم قال لهم: أي رجل الحصين بن سلام فيكم قالوا: سيدنا وابن سيدنا وحبرنا وعالمنا قال فلما فرغوا من قولهم خرجت عليهم فقلت لهم: يا معشر يهود، اتقوا الله واقبلوا ما جاءكم به فوالله إنكم لتعلمون إنه لرسول الله تجدونه مكتوبا عندكم في التوراة باسمه وصفته فإنني أشهد أنه رسول الله ﷺ وأومن به وأصدقه وأعرفه، فقالوا كذبت ثم واقعوا بي، قال فقلت: يا رسول الله ﷺ ألم أخبرك أنهم قوم بهت أهل غدر وكذب وفجور، قال فأظهرت إسلامي وإسلام أهل بيتي وأسلمت عمتي خالدة بنت الحارث فحسن إسلامها.»

والرجلان اللذان نحن بصدد الحديث عنهما، ما إن أعلننا موقفاً مغايراً للذي عرفنا به أول ظهور الأول مدافعاً عن الشيعة بشراسة، وبراعة الثاني في رشق وسلخ ضحاياهم غير راع فيهم إلا ولا ذمة، حتى خرج القوم البهت من الفريقين يلوون ألسنتهم، ويقيمون مآثم العزاء، وينشرون صحائف سيئات رمزيهما. (نقرة بحث باسم أحد الرجلين كافية لإظهار طوفان من ذلك).

إن هذه الجماهير لا تخلو من حالتين: إما أن تكون واثقة في رمزها فتطيعه في المنشط والمكروه والعسر واليسر، وتتبع مرشدها الروحي الذي رضيت به بعد تمحيص واختبار، إلا أن ترى كفراً بواحاً، لها عليه من الله برهان، وإما أن تكون هذه الجماهير كقطيع من الغنم يتبع راعيها ما أنشد لها الحداء، وهش لها بعصاه، وأوردها مواردتها التي اعتادت، وفي مضاربها التي ألفت، وإلا هجت عنه رافعة أصواتها بثغاء ورغاء، هو في حقيقته لعن وشتم وقذف وتخوين، ﴿وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ (الإسراء: ٤٤).

ويسألونك هل تريد من الجماهير أن ترى العصمة في مخلوق وأن تجعله شريكاً للإله، تتبعه أنى اتجه؟ فأقول: تعالى الله عما يقول الجاهلون علواً كبيراً، ولكن أي تأليه أعظم من أن تصفق لمخلوق من دون قيد سوى أن يجاري رغباتك؟ فما هو إلا أن يحيد عن هواك الذي اتخذته إلهاً حتى تكتب فيه معلقة بن كلثوم، وتقطع فيه بفتوى مالك في الخمر.

ولعمري لئن كانت تراجعات أو تحولات أو إعلان مواقف - سمها ما شئت - من هذا القبيل كواشف لسذاجة قطعان من الجماهير، فإنها تطرح بالقدر نفسه سؤالاً، كثيراً ما تردد شكاً: من يقود الآخر، الجماهير أم رموزها؟

بينما الجمهور الواعي يفترض منه أن يحيط قائده بعلامات التعجب، إن ظل جامداً في عالم متغير وسريع، بلا تطور أو تجديد، أو تحول. كما أن السيد الملهم خليق به أن يشك في مريدين لم يسمع يوماً عدا هتافهم «أنت في قلبنا، وتباً لأعدائك»!

فالنفس اللوامة التي تلمح الضمير، وتوقظ المرء من الغفلة والشطط، لولا شأنها العلي عند المولى، ونفعها لصاحبها ومن حوله، لما أقسم الله بها مقرونة بيوم عظيم يقوم الناس فيه لرب العالمين، ويختل فيه ميزان الكون، وتضع الحوامل أثقالها، مثلما يتبرأ الآلهة من معبوديهم، والأصنام من ناحيتها، بل الشيطان أيضاً من كل أولئك. ملقياً خطبة الحكمة التي يردها المتبوعون اليوم للتابعين: ﴿فَلَا تَلُومُونِي وَتُلُومُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ (إبراهيم: ٢٢). «هل أحد قال لكم: صنفوا لي»؟

إن مراجعة النفس، ظاهرة إخلاص. ونقد التابع والتلميذ للرمز أو الشيخ المتبوع ليس جرماً، بل هو عين النصح والصدق والموالة.

لكن العار أن تكون المراجعة طلاء تقليدياً، يخفي من ورائه مآرب سيئة، وعيوباً رديئة، وتصدعات في الضمير والمبادئ، أو صفقة غير أخلاقية تفوح منها رائحة الخديعة والاسترزاق.

والجرم أن يكون النقد تجريحاً وشتائم وطعنات في الظهر، وكيلاً
للهاء، وتنفيساً عن الضغينة، والفحشاء من القول والزور.



النخب العادلة والخاذلة

«كَيْدٍ من خلالِ الموجِ مُدَّت لغريق»^(١).

ليس عاراً أشد من ترك الإنسان أخاه، وهو يصارع الموت ويوجد بنفسه، ثم يتأخر عن مدِّ يد الرحمة إليه، إنقاذاً وإسعافاً. وليس أكرم عند الله من نفس أحييت نفساً، وعاهدتها بالرعاية، حتى تستوي على سوقها.

ومع أن هذا المبدأ كان واقعاً بدهياً بين كل الأمم والحضارات، إلا أن تشريعات الإسلام ضربت فيه المثل الأعلى، مثلما كان للمسلمين في شتى العصور الكعب الأعلى في التكاثر والتراحم والتعاطف فيما بينهم، مع تفاوت على قدر تطبيقهم لتعاليم دينهم التي تنص على أن «المسلم أخو المسلم لا يسلمه ولا يخذله». ومن هذا المنطلق كان لا بد من التثريب على أي تقصير في هذا الجانب، الذي بلغت أهميته مكانة عالية، جعلت بعض الصحابة يستثقل اتفاق «الحديبية» في السنة السابعة من الهجرة، لما كان أحد بنوده يتضمن أن المسلمين في المدينة لا يأوون أي شخص يأتيهم من مكة مسلماً! حتى دفع ذلك عمر رضي الله عنه إلى القول الذي قال إنه عمل لتكفيره أعمالاً: لماذا نُعطى الدنية في ديننا؟.

(١) هذا جزء من بيت في قصيدة (الأطلال) لإبراهيم ناجي، والبيت: ويد تمتد نحوي كيد.. من خلال الموج مدت لغريق.

لا أريد أن أخوض في مسألة يؤمن بها القاصي والداني، ولكن أردت منها الولوج إلى جانب منها أخطر، لم يعد فقهاء اليوم ناهيك عن عداهم يمرّ به إلا على استحياء، وهي صنف «المؤلفة قلوبهم»، الذي لم أسمع، وأزعم أنني متابِع جيد للخطاب الإسلامي في السعودية للحديث عنه أي ذكر، فضلاً عن أن تنشأ مؤسسة خيرية ذلك مجالها. بل إن مكاتب الجاليات ذات التجربة الرائدة في المملكة، يرتكز معظم جهدها في إقناع الناس بالدخول في الإسلام، من دون أن تهتم كثيراً برعايتهم بعد الدخول فيه، إلا في شكل متواضع لا يتجاوز رحلة برية أو عمرة أو حج. هل أحتاج للتذكير بأن النبي أعطى صفوان بن أمية واديا من الغنم والإبل، والعباس بن مرداس مائة ناقّة؟! وكل الذي نسمعه من الناشطين في تلك المكاتب وقد كتبنا عشرات التقارير عنها، أن موازنتها تتلقاها من تبرعات المحسنين.

أين ذهب مصرف المؤلفة قلوبهم؟ هل ألغي أم نسخ؟

ما يتعلق بهذا الجانب كان جملة معترضة، أو إن شئت فقل هامشاً، أما المتن، فهو أن الله - عز وجل - لم ينص في القرآن على «المؤلفة قلوبهم» كأحد مصارف الزكاة عبثاً، بل لمغزى إلهي حكيم، يعني في بعضه أن الدعم المالي ومثله التشجيع المعنوي، يكسب الإسلام ولاء أناس لم تدعن قلوبهم له بالكلية. كما أن بوسعنا القول: إن المال يمكن أن يلعب دوراً شريفاً غير مشبوه في توجيه إمكانات معطلة أو مسخرة فيما يضر أو لا يفيد، إلى ما هو أفضل وأقوم.

وترد هاهنا إشكالات عدة، أولها: هل الإسلام في حاجة إلى قوم يتقوى بهم، وهم عنه معرضون، خصوصاً بعد أن قوي عوده وغدا منتشراً في الأرجاء؟

والإجابة عنه: إن هذا قول عطلَّ به بعض الفقهاء مصرف المؤلفة قلوبهم^(١)، ولكن الإسلام اليوم أضعف من الغداة التي تألف فيها النبي ﷺ صفوان والعباس بن مرداس. كما أن من المسلمين اليوم أباً عن جد من هو أحوج إلى التأليف من صفوان بن أمية، وحتى في العهد النبوي جرى تعزيز إسلام قوم لم يتمكن الإيمان من قلوبهم، عن طريق تأليفهم^(٢).

وهل التأليف يكون بالورقة الزرقاء وحدها؟

بل للتأليف صور لا تنتهي، وبينها في العهد النبوي إقبال النبي ﷺ بحديثه على قوم ليسوا خياراً يتألفهم بذلك. وتعظيمه وجهاء القبائل التي تدف إليه تأليفاً لهم ولقومهم. فأى شيء يترك لدى المرء شعوراً بالسرور يمكن أن يعدّ تأليفاً.

ولكن التأليف لمن يخشى على إسلامه، فهل للتأليف معنى بعد أن غدا الإسلام راسخاً في نفس الإنسان؟

(١) لتفصيل هذه المسألة: انظر تفسير ابن كثير، عند تأويل آية الصدقات من سورة التوبة. ج ٢، ص ٤٨١.

(٢) ذكر ابن كثير أن المؤلفة قلوبهم أقسام، منهم من يعطى ليسلم، ومنهم من يعطى ليحسن إسلامه ويثبت قلبه، ومنهم من يعطى لما يرجى من إسلام نظراته، ومنهم من يعطى ليجبي الصدقات ممن يليه أو ليدفع عن حوزة المسلمين الضرر من أطراف البلاد. المصدر السابق، ج ٢، ص ٤٨١.

من الذي يشك في أن «أحسن إلى الناس تستعبد قلوبهم... فطالما استعبد الإنسان إحسان!» وفي أن الكرام من الناس يكسب إلفهم ومودتهم بموقف يسير وكلمة طيبة، «وما قتل الأحرار كالعفو عنهم... ومن لك بالحر الذي يحفظ اليدا».

أليس هذا بالتعبير المعاصر يعني شراء ذمم الناس... وهل يرضى كريم ببيع ضميره بحفنة من الدولارات؟

رغم ما في هذه الصورة من المثالية التي قلّ ما تتحقق، فإن الكاتبة السعودية جهير المساعد تقول: «الفرق بين الاستثمار والاستغلال، كالفرق بين الهدية والرشوة»، كذلك يمكننا إن وضعنا الشيء في موضعه أن نعين أخانا وصديقنا وأهلنا وأقاربنا وجميع من يطرأ على أذهاننا، بطريقة تحفظ له كرامته، وتكسبنا وده وإخلاصه ومحبته، تلقائياً، أو على الأقل تقينا شره!

وتسألني عن الإخلاص والولاء، أيشترى بالدينار والدرهم حقاً؟ فأجزم فوراً: قطعاً وبتاتاً، لا، على الأقل في حد رأيي، فمن باعك ولاءه بدينار، غداً إن وجد من يشتريه منه بدينارين لم يتردد، ولكن فرقاً كبيراً كالذي بين السروال والعمامة، بين مدّ اليد لمن معك في الخندق والمبدأ، ولكنه في حاجة إلى من يساعده، وبين من يضع مواقفه في سوق النخاسة يبيعها لمن يدفع أكثر. مع أن مسلماً روى في صحيحه عن صفوان بن أمية رضي الله عنه الذي شهد حيناً مع المسلمين مشركاً أنه قال: «أعطاني رسول الله ﷺ يوم

حين وإنه لأبغض الناس إلي، فما زال يعطيني حتى صار أحب الناس إلي»^(١).

وإن نسيّت صديقي، فلا تنس أنه لو يستغني عن التأليف قوم لقوتهم ومنعتهم لما قدمت دولة مثل أميركا الورقة الزرقاء بيد، والقوة الخشنة بيد أخرى، بل ما ركّعت قومك إلا بهذه وتلك، ولذلك دوماً يردد خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز على وجه الاعتزاز أن السعودية لا فضل لأحد عليها عدا الله عز وجل وأبناءها، في إشارة إلى أنها إذن حرة في قرارها، وليس لأحد يد تكافئه عليها، محاباة وطمعاً.

إن الشخص الذي ترك منهجاً أو فكراً غير سديد وأقبل على المجتمع أو المجموعة أو الدولة بقلبه وجسده، يحتاج إلى حضانة أدياً وعناية أكبر من تلك التي يجدها السابقون الأولون في سلامة المنهج والنيات والمقاصد. ويكفي على هذا الصعيد الإشارة إلى حرمان النبي ﷺ بعد غزوة حنين السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار غنائم جاد بها على غيرهم، فكان من الأنصار من رضي وامتل ومَن لم يرض، حتى كشف لهم النبي ﷺ مقصده وغايته، فقال معاتباً: «ألا ترضون أن يذهب الناس بالشاة والبعير وتذهبون برسول الله إلى رحالكم»؟

ومن المؤسف جداً أنه على المستوى الوطني، لا تجد ذاك التكتاف المثالي بين أي محيط أو طائفة في الجملة، مع نماذج مشرفة لا تتكرر،

(١) المصدر السابق، والصفحة نفسها.

حتى إن التيار الليبرالي الذي يتحدث البعض عن خططه وأهدافه وتكتلاته، اتهم بعض أفراده البعض الآخر بأنه متذبذب مهادن غير واضح المبدأ والهدف^(١). وقل أن تجد فيه مناصرة منظمة تحت أثواب «المهنية» أو الأعراف، أو حتى الأخلاق، كما جسدت بمرارة حلقة (ليبراليون... ولكن) في مسلسل طاش ما طاش الشهير في ٢٠٠٧م.

أما التيار الإسلامي (لا أقصد المتطرفين) الذي نسمع عن تنظيماته ودقة ترتيباته بما لا يرقى إليه حتى «الموساد»، ما رأيت مثله خذلاناً لبعضه، بل إنك لتعجب من حربه لنفسه، وهدمه بإخلاص لجهوده، حتى بلغ ذلك من الداعية سلمان العودة مبلغاً، جعله ينصرف عن الردود إلى ما هو أبقى وأنقى، إذ يراها «مضيعة، دعها لغيرك، ليس كل ما تقوله أنت صحيح، ولا كل ما يقوله الآخرون خطأ، لكن دع عنك المهاترات والتقاذف..

قال لي أحدهم يوماً: لماذا لا ترد على فلان الذي تناولك في الجريدة.. فقلت له: أنا سائر في طريقي وقد اخترت ألا أتشغل بهذا.. لكن هبني رددت عليه ثم رد هو عليّ هل سأقطع أعمالني البناء وأتفرغ معركة الردود؟ أم سأنقطع وأتوقف فيبدو وكأنه غلبني وخصمني؟!

ثم حدثني ماذا بقي لدينا الآن من آثار المعارك الطويلة التي جرت قبل ثلاثين أو أربعين سنة، فضلاً عن ثلاث مئة أو أربع مئة سنة^(٢).

(١) نادين البدير، جريدة الوطن، عدد ١٩١٧ في ٢٧ ذي القعدة ١٤٢٦هـ.

(٢) سلمان العودة، موقع الإسلام اليوم، في تاريخ ١٤٢٧/٦/٢٥هـ.

ولو خضت في سرد نماذج من هذا المحور تحديداً لفداً سرفاً
وحده!

وما رأيت أستاذاً عضو مجلس الشورى الدكتور عبد العزيز
بن عبد الرحمن الشبان يتضجر من شيء ما ضجر من تخاذل أهل
الخير والصلاح والتقوى في دعم بعضهم، ومن يسير على طريقهم،
والتأخر في كسب الناس أياً كان انتماءؤهم، والانفتاح على المخالفين
لهم وحسن الظن بهم.

تأليف الحسنين!

إنني بهذا الاستطراد الطويل لا أريد أن أنتهي إلى أن حسن
العلوي وحسن مفتي يحتاجان إلى من يتألفهما، ولكنني أقول: أين
أولئك الذين ملؤوا آذاننا ضجيجاً وهم يكونون تطرف الشيعة وشتهم
الصديقين؟ وأين أولئك الذين ألقوا الشيعة في سلة مهملات واحدة،
وظنوا أن لا خير فيهم أجمعين، وأقنعونا دهرماً بأن انتماء الشيعة
العرب لأوطانهم وقومهم العرب، لا يساوي مثقالاً أمام انتمائهم
الديني لإيران وقوميتها... وأن ليس في القوم رجل رشيد؟

وأين الذين بكوا حتى بلوا الثرى، وتكاد قلوبهم تفيض من الدم
حزناً على فتيانهم الذين غررت بهم «ساحات الظلام» كما ينعتونها؟

بل أين قوم لم تجف دموعهم جزعاً على طيش أقلام في ذلك
المنتدى، وصوروا الأمر باقعة ليس لها من راقعة، وغمّة ليس لها من
دون الله كاشفة. كل أولئك كان مشروع العلوي السياسي واعتزال

مفتي الساحات امتحاناً واختباراً لصدق ثورتهم. مع أنني لا أجادل في وجهة تساؤلاتهم.

وإني رغم إيماني التام بأن الحسنيين وأمثالهما، مهما ادعوا أن تصرفات الآخرين تجاههم لا تؤثر في موافقهما إلا أنني أجزم بأن احتضانهما حساً ومعنى سيكون تشبيهاً للأقدام على الطريق المستقيم ومثلاً للآخرين. وكلمة الطيبة من أثر تعجز عن تحقيقه «حمر النعم»، وهو ما يقر به مفتي نفسه حينما اعتبر خطاب العتاب الرقيق الذي تلقاه من الأمير محمد بن نايف، من أشد العوامل وقعاً على نفسه، في تحوله الجديد.

بقي لي أن أذكر أن اعتقاد أحدنا بأن شخصاً ما على خطأ، لا يبرر شرعاً وعرفاً، هضم حقه واستحلال عرضه، وملاحظة ذلك ضرورية ونحن نتحدث عن الأخ حسن مفتي الذي كثيراً ما برر نيّله من عرض الناس بأنهم كانوا وكانوا، ويردد: «بيني وبينهم خلاف عقدي»، وعن عدد من الساخطين عليه الذين يكادون ينزعون عنه ثوب «الإسلام»، بدلاً من أن يفضروا له ويصفحوا.

وأنا بذلك لا أطالب حسن ولا غيره بالكف عن نقد أي مخطئ، ولكن بـ «عدل وإنصاف»، وليس هناك من لا يستحق العدل، مهما بلغ خطؤه وجرمه، وهذه من إحدى المسلمات بين سائر الأمم والديانات، ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾

(المائدة: ٨).

كما لا أطلب من قُدح فيهم أن يساواوا بين من ناصبهم العداء والكره بالذي غمرهم بلطفه ومحبته، ولكن حتى في حال دفاعنا عن ديننا وأنفسنا وانتزاع حقوقنا، يجب أن نلزم العدل في جميع ذلك، فالسيئة جزاؤها السيئة، لا «السيئتان» كما يحدث من الضيقين، بل «من عفا وأصلح فأجره على الله». هل أحتاج للاستدراك بأن الدعوة للاحتفاء والوقوف إلى جانب كل من مدَّ يداً «نظيفة»، لا يعني التصفيق لـ«الخب»، الذي لا يجوز أن نساق وراء خداعه... أياً كان؟!

والتحية لكل من مدَّ للرجلين يد المودة والصفح بعد أن أعلننا موافقهما .

وأخيراً حاورت الرجلين حتى قال الأول (العلوي) بشهادة الزميل عبد العزيز السويد «رحماك، ذبحتني» وكاد مرات عدة يتميز من غيظ استشكالاتي، وحتى صارحني الثاني (مفتي) بأنك «أشد علي من ضباط التحقيق مدة سجني»، فلا أدري هل أشكرهما على سعة صدرهما أم أسجل امتناني لصحيفة «الحياة» التي نشرت حوارهما، أو لدار (العبيكان) التي منحت للمادة الخلود بنشرها في كتاب... أم للقرءاء الذين أحسنوا بي وبالرجلين الظن. أسجل للجميع تقديري.

حسن العلوي

هيكل صدام وعاشق عمر

- حسن نوري سلمان خلف العلوي.
- ولد في بغداد ضاحية الكرادة عام ١٩٣٦م.
- درس في ثانوية الكرخ، وأتمّ السنة الأخيرة في الثانوية الشرقية في بغداد.
- أنهى دراسته في كلية الآداب - جامعة بغداد عام ١٩٥٨ - ١٩٥٩.
- نشر أول مقال له في الصحف عام ١٩٥٤، وله كتابات قومية منذ عام ١٩٥٦.
- عمل في التنظيمات الأولى لحزب البعث منذ منتصف الخمسينيات، وخرج من الحزب، ولم يعمل في تنظيم أو تجمّع آخر.
- تحظى كتبه بدائرة انتشار واسعة، وكان العراقيون يستسخون سرّاً أي كتاب له، فيما كان العثور على نسخة من كتبه سيقود صاحب المكتبة والقارئ إلى سجن طويل.

من كتبه السائرة:

- عبدالكريم قاسم رؤية بعد العشرين.
- الجواهري ديوان العصر.
- التأثيرات التركية في المشروع القومي.
- الشيعة والدولة القومية.
- دولة المنظمة السرية.
- أسوار الطين في عقدة الكويت.
- العراق الأميركي.
- عمر والتشيع.



العرب باعوا (شيعتهم) بلا مقابل!

أكد المفكر الشيعي الشهير حسن العلوي أن المرحلة التي يعيشها العراق حالياً ستفضي إلى «الصوملة»، ويعقبها تفكيك الكتل المتجانسة، الذي بدأ باختلاف السنة مع السنة، والشيعية مع الشيعية، والأكراد مع الأكراد.

وشدّد العلوي، الذي صنّف سابقاً على أنه «هيكل صدام»، في حوار مع «الحياة»، على أن إيران حالت دون اقتتال الشيعية فيما بينهم، أما السنة فإنهم بدؤوا يتقاتلون، ويُتوقع المزيد.

وأبدى أسفه لتقديم الدول العربية شيعة العراق هدية إلى إيران، على الرغم من أن عددهم يماثل عدد خمس دول أعضاء في الجامعة العربية. أما البقية من الشيعة العرب الذين استعضوا على المغازلة الإيرانية، فقال: إن تأثيرها «تحت الصفر».

لكن العلوي اعتبر كتابه «عمر والتشيّع» الذي صدر حديثاً، يمثل مشروعه السياسي لمحاولة إطفاء النيران المشتعلة في العراق، وبعث الشيعة العرب؛ ليجمعهم خطاب مستقل.

وامتدح شطارة إيران، وقال: إنها مكّنت لنفسها في العراق وليست أميركا التي مكّنت لها كما يتردد. وعاتب العرب السنة في تأخرهم عن القيام بدور مماثل، وإن تفهّم أن «فاقد الشيء لا يعطيه». وفيما يأتي نص الحوار معه:

تنبأت بأن العراق الأميركي قادم، وأن له رجالاً
محددتين، فصاروا كما توقعت، سؤالي: ماذا بقي
حتى الآن مما توقعت حدوثه ولا تزال تجزم
بقدمه؟

- بقيت (الصوملة)، وأعني بها أن يصبح العراق كالصومال، العراق الآن مثل كرة تتدحرج من جبل، ومن الصعوبة إيقاف الانهيار؛ لأنه لا توجد مصدات، كطوفان يجري من دون سدود ولا حواجز، فدائماً أنا أتوقع الأسوأ، نحن الآن في المرحلة الرابعة.

| وهل هناك مرحلة خامسة تعقبها أيضاً؟

- تعقبها مرحلة تفكيك الكتل المتجانسة بعد حل الدولة وحل السلطة، ولو اكتفى الأميركيون بحل السلطة واستبدال سلطة عراقية عادلة بها لكان من الممكن أن يستقيم الأمر؛ لأن هناك عدم ارتياح من سلوك النظام العراقي السابق من جانب الجوار الإقليمي، بسبب تورطه في إشكالات كثيرة مع العرب والمسلمين على حد سواء، فحل السلطة لم يكن يحزن العرب أبداً، ولكن الذي فاجأ الناس هو حل الدولة، الذي حدث بالتزامن مع حل الشعب، أي تفكيك الشعب،

فكّكوا السلطة، وفكّكوا معها وحدة البلاد الوطنية، وساعدهم على ذلك أن الشعب نفسه غير متجانس، فالعراق يعاني من عدم التجانس الاجتماعي، فهو شعب تعددي، وهذا ليس خطراً في أصله، حتى إن شاعراً عراقياً شبه العراق بالبستان، فيه مجموعة من الألوان والزهور ذات ألوان وروائح حلوة، لكن تحوّل هذه الألوان إلى رماح وإلى صواريخ يُحلّ الخطر، وهذا ما حدث.

| وبأي شيء ينتهي نفق مرحلة الصوملة؟

- تنتهي إلى لا شيء. إلى (اللا دولة)، فنحن الآن في مدة ما بعد الفيديرالية أو ما تحتها، على غرار قول أدباء ما بعد الحداثة، فحتى الفيديرالية قد تُشكّل فيها كتل متجانسة كردية، وشيعية، وسنية، هذه الآن غير موجودة ما عدا الكتلة الكردية التي لا تزال متجانسة، وإن كنت أتوقع صداماً في المستقبل لأي سبب، فالكتلة السنية الآن في حال صدام في الأنبار.

| كأنك تقول: إن النتيجة النهائية للعراق أن «لا

حل»؟

- نعم لا حل للعراق؛ لأن عناصر الحل غير قائمة، كما أن إرادته أيضاً غير متوافرة، والتصالح الذي تسمع عنه مجرد استهلاك وكسب للوقت، إذ ليس ناتجاً من نية صادقة.

| ولكن هل صوملة العراق شيء مخطط له

| أميركياً، أم حدث نتيجة لفشل غير متوقع؟

- في بعض الأحيان ليس شرطاً أن يكون الناتج من جنس المقدمة، فنحن كما سقطنا في فخ المؤامرة سقطنا في فخ آخر، وهو أنه لا مؤامرة، أنا أعتقد أن الواقع شيء بين الاثنين، إذا ما نزلنا قليلاً عن مصطلح المؤامرة ونفي المؤامرة، فسنعجد شيئاً آخر اسمه خطط الدول. هل يعقل أن دولة مثل أميركا لا يوجد لديها برنامج عمل. الشركة الصغيرة تضع لها برنامجاً مرحلياً أو أكثر من مرحلي، فأمركا لها برنامج محدد، ومخطط خاص، أنت قد تسميه مؤامرة، لكني قد لا أسميه مؤامرة، هو خطط الدولة.

أفهم من ذلك أن أميركا خطت لأن يكون
العراق صومالاً، مثلاً؟

- أنا لا أقول بهذا، ولكن قلت لك: إن الناتج قد لا يكون من طبيعة المقدمة، كيف أن بلداً تحتل بلداً وتخضعه لسيطرتها، ثم تطالب دولة أخرى بتقديم حل، إما لتأييد الاحتلال أو نفيه، فاستدعاء إيران من خلال خطاب بوش أخيراً، بأن تكف إيران أو سورية عن كذا، معناه أن الاحتلال غير قادر على إدارة البلد.

ولكن ثمة دولا ترى أن أميركا هي التي مكنت
لإيران في العراق؟

- لم يحدث ذلك بالطريقة المباشرة التي يتحدث عنها بعضهم لا توجد دولة تحتل بلداً وتمكّن دولة أخرى منافسة فيه، فالأميركيون يعرفون أن إيران التي ستدخل العراق هي المسلحة لا العزلاء، وهو

ما يتناقض مع مبدأ أميركا في بداية احتلال العراق، فهم لا يريدون إلا قوة واحدة، ولذلك سرّحوا الجيش والأمن العراقيين، ورفضوا إقامة شرطة عراقية وأمن عراقي لمدة طويلة، على اعتبار أن أي سلاح سيصطدم مع سلاحهم، وحتى هذه اللحظة هم يخشون أن يسلموا قوات الداخلية العراقية والجيش العراقي بجديّة.

| على هذا إيران مكّنت لنفسها؟

- نعم، إيران شاطرة، ونحن نخشى أن نواجه طاقاتها بعجزنا وفشلنا كعرب في كل مرة، بالضبط كخطابنا إزاء إسرائيل بأن الصهاينة عملوا كذا وكذا، ونتجه إلى تحميلهم أي شيء يستفز العرب، نحن الآن نحملّ إيران الشيء نفسه، لماذا لا نقوم نحن بالعمل الذي تقوم به إيران، أو الذي تقوم به إسرائيل، من الذي منع العرب؟

| برأيك، هل العراقيون الذين باتوا الضحية، وقعوا في فخ الاحتلال، وربما إيران أيضاً؟

- لا، الوضع في العراق نتيجة لتراكمات طويلة، نتيجة لأخطاء في بناء السلطة العراقية الأولى التي أقامها الملك فيصل الأول على مبدأ قومية السلطة في بلد متعدد، فكان من المفترض أن تقام وطنية السلطة على الفرار المصري لا على قومية السلطة؛ لأنه في وطنية السلطة يلتقي السني والشيوعي والتركماني والكردي والعربي، أما قومية السلطة فهي مشروع انقسامي، والملك فيصل انتبه إلى أخطائه فحاول تصحيحها، وقام بتوزيع مذكرة ضد قومية السلطة،

ومرت ستة أشهر من توزيع هذه المذكرة في تداول محدود ثم رحل، وهناك عوامل أخرى أدت إلى ظهور العراق بالصورة الحالية، أبرزها المكبوت الطائفي الذي انفجر، بعضهم يتصرف كمن يرى أن الوقت حان لتصفية الحساب مع الآخرين بعد ١٤٠٠ سنة!



دم الصدام في رقبة هؤلاء!

إذن هل أصبحت العملية أخذ كل طائفة بتأرها
من الأخرى؟

- نعم، وهذا الذي حدث في محاكمة صدام، بدت ثاراً من السنّة
وليسست محاكمة، هذا ما قلته بعد تنفيذ الإعدام بأربع ساعات،
إذ قلت: إن صداماً السنّي هو الذي أعدم وليس صدام الديكتاتور
الذي لم يحاكم أصلاً، والذي أوحى بهذا الشعور هو عملية الإعدام،
هذا المشهد لم يكن اختراع الذهن العربي أو الذهن السنّي، وإنما
المشهد هو الذي أوحى بهذا الانطباع.

وفي تقديرك، من الذي اختار التوقيت الذي
استفز كثيرين؟

- الأميركيون وشيعة السلطة، حتى أبرئ شيعة الشعب.

وما موقف الشيعة المعتدلين من المشهد؟

- أين هم الشيعة المعتدلون؟ إذا كان الخطاب العربي يعد الشيعة
العرب عجماً ويخاطبهم كصفويين! الخطاب العربي يقدم كذا

مليون عربي شيعي هدية لإيران باعتبارهم عجماً، ما موقع هؤلاء المعتدلين إذا كانوا بين أضرار وأنياب التكفير والتعجيم من جانب، وسيطرة الإسلاميين ذوي النزعة الإيرانية على القرار السياسي من جانب آخر.

وهل نتيجة لذلك لم يعد للشيعية العرب تأثير
في التركيبة العراقية؟

- الآن درجة تأثيرهم تحت الصفر.

وكيف يُبعثون؟

- يُبعثون بخطاب عربي وليس بخطاب طائفي، ولا بخطاب يطعن في عروبة القبائل العربية التي جاءت امتداداً لنجد في بادية السماوة والفرات الأوسط، هذه القبائل هي التي حافظت على عروبة العراق لكي لا يستعجم، هؤلاء لا ينبغي الحديث عنهم كصفويين أو عجم. هذه اللغة ناتجها أننا نقدم هذه العشائر العربية هدية لإيران.

وإيران هل ستقبل تلك الهدية؟

- بالتأكيد، وهؤلاء العرب الشيعة مجموعهم يساوي خمس دول عربية أعضاء في الجامعة العربية، فأنت تقدم لإيران خمس دول عربية حين تتنازل عن الشيعة العرب، فإنك عندئذ تتنازل عن العروبة في العراق عموماً!

وما دورك أنت في تغيير هذه النظرة وأنت الآن

في العاصمة السعودية (الرياض)؟

- أسعى لتغيير هذا الخطاب، أسعى لمصالحة تبدأ من التاريخ. كتابي «عمر والتشيع» هو مشروع.



مشروع مقاومة (العجم)!

هذا المشروع ثقافي، والعراق يحتاج إلى مشروع سياسي؟

- بل مشروع سياسي يبدأ بالتصالح مع التاريخ، هذا نداء إلى الشيعة العرب أن انفصلوا عن الخطاب الإيراني، مثلما ينادى السنة العرب بأن انفصلوا عن خطاب التعجيم، لأن هناك شيعة عرباً متورطين في الخطاب الإيراني، ويهاجمون عمر ويشتمون الصحابة، في الوقت الذي يمثل الشيعة فيه فقط ١٠ في المئة، فهم جزيرة في محيط إسلامي سني، وبالتالي لا توجد لهم فرص طيبة، فالفرص الطيبة تأتي من التجانس والمشاركة وليس من القطيعة، ولهذا عنوان الكتاب «القطيعة والمشاركة»، لأن الناس الذين يدعون إلى القطيعة هم الذين يهاجمون الصحابة ويهاجمون عمر ويدعون حب علي، ويعتقدون أن علياً لم يتشارك مع الصحابة وإنما قاطعهم، ولهذا أنا أسعى إلى تشكيل تيار أسميه «تيار المتعربين الشيعة»، والمتعرب هو وصف أتى في كتاب الجاحظ، حين قال: كان عمر متعرباً. والمتعرب ليس الذي أصبح عربياً وإنما العربي الذي يدافع

عن مصالح العرب، وشرف العرب، فأنا أفضل كلمة المتعرب على العربي، أنا من أتباع عمر بن الخطاب فكراً ووجداناً.

أنت تدعو إلى تجمع عربي أكثر من كونه طائفيًا،
والذي نراه الآن أن صوت الطائفية تتهاوى أمامه
كل الأصوات الأخرى؟

- العامل الطائفي هو أقوى العوامل في العراق، ولهذا كان العراق البريطاني سنيًا والعراق الأميركي شيعيًا، ووضعت كتاباً في هذا الموضوع اسمه «العراق الأميركي».

إذن، هل يمكن لمشروعك النجاح في ظل هذا
الهيجان الطائفي واستمساك رجال الدين
الطائفيين من السنة والشيعية بزمام الأمور؟

- هذه لغة تجارية، أما أصحاب المشاريع الفكرية كهذه، فحسبهم أن ينشروا الأفكار مثلما ينشر الأوكسجين ويتنفسه الناس، ولا يفكرون في الربح والخسارة، أنا شخصياً خسرتان مئة في المئة، أخسر عندما أترك سفارتي ودولتي وامتيازات دولتي، سأخسر كثيراً من الجمهور العراقي الذي سيسيء فهم كتابي هذا «عمر والتشيع»، ولا يدرك أنه مثل كتابي الآخر «الشيعية والدولة القومية»، في ذلك أتكلم عن حقوق مدنية، وفي هذا أتكلم عن حقوق مدنية، في ذلك الكتاب كان الشيعية مذهباً مقموراً فدافعت عنه، وفي هذا الكتاب أصبحت السنة هي المذهب المقموع، فدافعت عنه.

الأ ترى أن العراق الآن في حاجة إلى مبادرات
إطفاء سياسية، وليس إلى مشاريع فكرية لا
يظهر نتائجها إلا بعد وقت؟

- لا، هو مشروع سياسي، وقلت: إنه محاولة لإطفاء النيران، فهو
طفّاية حريق.

أنت ذكرت في إحدى أطروحاتك الفكرية أن
عيد الاستقلال ربما يثير جدلاً بين العراقيين،
واقترحت أكثر من مقترح، فما الذي تراه الآن
بعد إعدام صدام؟ هل سيأتي من يقول: إن يوم
إعدام صدام سيكون...؟

- (غاضباً)، لا تتسطّح إلى هذه الدرجة. هذا أمر مستبعد تماماً.

سؤالنا عن عيد الاستقلال، أي يوم تراه مناسباً
ليكون عيد الاستقلال؟ أو الأصلح ليوافق بين
العراقيين؟

- بالنسبة إلى الملكيين كانوا يعدون يوم ٢٣ آب (أغسطس) من كل عام
عيداً للاستقلال؛ لأنه اليوم الذي تأسس فيه العراق الملكي عام...،
ومنهم من اعتبر يوم ١٤ تموز (يوليو) يوماً وطنياً للجمهورية، ومنهم
من يعد يوم سقوط صدام حسين عيداً، ولا أحد يحتفل بيوم
الاحتلال عيداً له! أنا اقترحت وكتبت رسائل لزعماء العراق؛ لكي
لا يتأخروا في الإعلان عن اليوم الوطني، واكتشفت في دراستي

لتاريخ العراق أن هناك يوماً سيلقى القبول لدى جميع العراقيين، وهو يوم إعلانه عضواً مستقلاً في عصابة الأمم المتحدة في جنيف، في ٣ تشرين الأول (أكتوبر) ١٩٣٢.

وهل تعتقد أن هذا اليوم سيرضي الجميع؟

- نعم نعم، لأنه يوم استقلال، ولم يكن لا ملكياً ولا جمهورياً، بل العراق الذي أصبح دولة مستقلة في العالم.

في حوار لك ذكرت أن لك مؤلفاً، سميته «الفتوحات السفيانية»، وأشارت إلى أن هذا الكتاب لن ينشر إلا بعد مماتك، ما فكرة الكتاب حتى تراه بهذه الخطورة؟

- «الفتوحات السفيانية» كتاب قررت ألا أنشره في حياتي، وبالتالي أيضاً لا أستطيع الحديث عنه، ولكن ما أقوله لك: إن كتاب «عمر والتشيع» كان من نتائج «الفتوحات السفيانية»، كان فصلاً صغيراً فيه اشتغلت عليه إلى أن أصبح كتاباً.

ذكرت في إجابة سابقة أن الطائفية تتناقض مع الاجتماع على العروبة، ولكن في لبنان تكونت الدولة على أساس طائفي، وهي المثل العربي الأعلى في غناها الثقافي؟

- لبنان ليست دولة طائفية، وإنما الدولة الطائفية هي التي فيها طوائف عدة، وتوزع فيها الامتيازات بطريقة منحازة غير عادلة،

كأن تكون شيعية وتحرم السني، أو مسلمة وتحرم المسيحي... ولهذا؛ فالإسلام لم يكن طائفيًا؛ لأنه أعطى حقوق الكل كاملة. العراق مثلاً كان طائفيًا لأن القرار سني، وأصبح الحكم فيه الآن طائفيًا كذلك، لأن القرار شيعي بالطريقة نفسها، لم يتغير شيء سوى أن استبدلوا بطائفية معينة طائفية أخرى، والفارق بين الطائفتين في حكم العراق أن الحكم في العراق في المرحلة السنية لم يكن ثقیلاً على الناس، لأن الحاكم لم يكن يلبس العمامة السنية، أي أن الطائفة السنية لم تحكم العراق بمذهب أو بدين وإنما حكموا كحزب قومي... حزب ليبرالي، حكموا كهاشمية، وحكموا كجمهورية، ولهذا فالناس لم يكونوا يشعرون بأن هذا الحاكم سني؛ لأنه لم يكن يحكم بشكل ديني، أي أنه لم يكن مثلاً يفضل أبا حنيفة على أبي جعفر الصادق، ولا يظهر على التلفاز يمسّ علي بن أبي طالب بشيء.

وفي كل عصور الدولة العراقية السنية، لم يُسمّ شارع واحد باسم أحد من بني أمية، لأن هناك شيعة، ولا يوجد في العراق شارع ولا مبنى ولا منتدى ولا مؤسسة باسم أي شخص أموي!

إذن على أي أساس ترى طائفة في العراق أن ما يُفعل الآن ضد السنة في العراق مبرر، لأن النظام العراقي السابق فعل بالشيعة الشيء نفسه؟

- هذه منطقة تثار سياسي، والتأثر موجود بين القبائل، وأي سياسة مبنية على التآثر لا يمكن أن تصدق!

كنت مع المشروع الأميركي!

نعود إلى العراق الأميركي، هل النظام القائم الآن في العراق هو العراق الأميركي، بحسب رؤية حسن علوي تماماً؟

- في نظري أنهم يريدون أن يجعلوا العراق هونغ كونغ، ولكن ليس في الصين، وأن يفتحوا له تجارة، ولكن لن يوجدوا فيه صناعة، لأنه منذ أن يصبح صناعياً، فإنه سيهدد أميركا، لأن الدول الصناعية لا تكون عميلة، وهذا قانون معروف.

نحن كنا نتصور أن المشروع الأميركي سيساعد على تغيير السلطة وحلها، والدول المجاورة كلها كانت تتمنى أن يزول هذا النظام، ولم يحزن أحد عليه. لكن كيف يتغير؟ هذه نقطة، ومن الذي يغيره؟ هذه نقطة. وكيف سيصبح؟ هذه النقطة الثالثة. وهذه كلها جاءت على غير المتوقع؛ لأن الأميركيين لم يكتفوا بحل السلطة وإنما حلوا الشعب وفككوا الوحدة الوطنية، والآن بدؤوا في تفكيك الكتل المتجانسة بتأجيج الصراع بين السني والسني، والشيعي والشيعي، والكردي والكردي، والسنة بدؤوا بهذا المشروع، وإيران تحول دون

أن يقتتل الشيعة بعضهم مع بعض، بينما السنة لم يخضعوا لقوة تمنعهم من الاقتتال.

ماذا يمكن لدول الخليج العربي المحيطة أن
تفعل لتحويل دون هذه المرحلة التي ستكون
الأسوأ إذا حدثت؟

- فاقد الشيء لا يعطيه!



فقه السيستاني (سني) وليس شيعياً!

ذكرت في لقاء سابق معك أن السيستاني يعد ظاهرة في ابتعاده عن الفقه الشيعي التقليدي، وأنه بعيد عن المدرسة الخمينية التي تدعو للالتزام بعباءة الفقيه. كيف ذلك ونحن لا نرى أي انفتاح في المدرسة السيستانية؟

- أنا أرى أولاً أن الحكم المباشر ليس للفقيه، أي أنه يقبل دور الفقيه في المجتمع وليس حكم الفقيه، فالفقيه له دور في المجتمع وليس له حكم، وثانياً أرى أن السيستاني اشتغل سياسياً بالفقه السني وليس بالفقه الشيعي، والسنة اشتغلوا بالفقه الشيعي وليس بالفقه السني. فالشيعة عند تأسيس العراق البريطاني قاطعوا الدولة والانتخابات، وقاطعوا المدارس، فانتهى الحكم إلى السنة. الآن هيئة علماء المسلمين في العراق الأميركي قاطعت الانتخابات وقاطعت الاستفتاء، ولم تنتبه للخدمات وتركت الأمور للشريعة، فالحرمان السني الحالي بعض سببه الفقهاء، كما أن مثيله الشيعي في العراق البريطاني بعض سببه الفقهاء أيضاً.

ولكن ما موقع السيستاني في هذا الواقع حتى
تمتدح انفتاح مدرسته؟

- السيستاني اشتغل بالفقه السني الذي يقول لك: لا تترك الدولة
للفتنة، الدولة أهم من الفتنة، ولو كان الحاكم جائراً؛ فلا يصلح
الابتعاد عن السلطة.

الذين شاركوا في السلطة الحالية من السنة، هم الحزب الإسلامي
وبعض العلمانيين، وهذا نفسه حدث عند الشيعة حين رؤوا أنفسهم
معزولين عن الدولة، إذ بدؤوا يدخلون الدولة في العراق البريطاني،
ولكن بعد أن فاتهم القطار، وفي الحالة الأولى خسر الشيعة مواقع
في العراق البريطاني، وفي الحالة الثانية خسر السنة في العراق
الأميركي، هذا التبادل الفقهي الذي أعنيه بين السنة والشيعة، وهو
ليس نظرية وإنما واقع، لم يُكتشف ولم يُحلل بعد.

أيضاً ترى أن السيستاني بعيد عن مدرسة
الخميني، كيف ذلك؟

- الآن هو المرشد الروحي الأعلى.

في ظل عدم وجود مدرسة فقهية شيعية مستقلة
في العراق، كما يتردد الآن، ما الذي يمكن أن
يوحد العرب الشيعة؟

- لا توجد مدرسة فقهية عراقية، فقد كانت موجودة، ولكن الآن الفقيه
السياسي هو الذي يسيطر على الفقيه الديني، وحتى السيستاني
استُحضر استحضاراً للعملية السياسية وابتعد عنها.

هل ابتعد عنها زهداً فيها أم لأنه فقيه ديني؟

- هذه مدرسته وهو لم يكن متفقاً مع الخميني، فمدرسة السيد عبدالمحسن الحكيم وتلميذه أبو الحكيم لا توافق على دخول المرجع في السياسة، مع أن أولاد الأخير دخلوا في السياسة.

ولكن يزعم بعض السنة أن السلطة الحاكمة في العراق، كثير من أفعالها تحظى بمباركة من هيئة إفتاء المرجعية.

- لا توجد لدى الشيعة هيئة إفتاء ولا فقيه واحد، وللعلم فإن السياسيين العراقيين المتفذين، والزعماء الاسلاميين الشيعة في السلطة العراقية، جميعهم لا يقلدون السيستاني، فالمجلس الإسلامي الأعلى يقلد السيد خامنئي، وحزب الدعوة له مرجعيته التي يقلدها، وتيار الصدر لديه كاظم الحائري، هذا واقع الأمر، وبالتالي، فإن الزعماء لا يأخذون الفتوى من السيستاني، بل يأخذونها من غيره، وفتواه غير ملزمة لهم.

وماذا بقي للسيستاني من دور بعد ذلك؟

- بقي له أتباعه من عامة الناس.

عبد العزيز السويد: ما حصل في العراق منذ قرار بريمر حل الجيش، هل هي أخطاء أم خطط أميركية؟

- بل هي خطط خاطئة، هم كانوا يتصورون أن بإمكانهم أن يسيطروا على العراق عسكرياً، فما قيمة وجود الجيش العراقي بالنسبة إليهم؟ فطبيعة المحتل ألا يسمح بسلاح آخر غير سلاحه، لأنه في الدولة المحتلة لا يوجد إلا سلاحان: سلاح المحتل وسلاح المقاوم. كان المفترض أن يجعلوه سلاحاً متصالحاً، لكنهم خافوا من أي سلاح آخر أن يتحول إلى سلاح مقاومة ضدهم، وهذه هي الخطة الخاطئة، فهم لم يكونوا يعلمون أن الجيش الذي سرّحوه لن يشكل خطراً طالما أنه يشتغل تحت سيطرتهم، فطلع لهم الجيش نفسه، ولكن تحت سيادة أخرى، ولهذا نتجت من هذا المخطط الخاطئ أشياء خاطئة أخرى.

بما أنك قسمت العراقي إلى أميركي وبريطاني،
فأيهما سيكون الأطول عمراً؟

- العراق الأميركي سيكون الأقصر عمراً، ومن الغرائب أن يكون الاحتلال عنواناً لبقاء العراق، كما يرى الحزب الإسلامي والشيعة معاً. هناك اتفاق سني - شيعي في السلطة العراقية، على أن ذهاب الأميركيين سيؤدي إلى الاقتتال.



الصراع حين يكون على (العدو) . . لا معه!

| وأنت ماذا ترى؟

- الشيعة والسنة إذا تصالحوا هم من سيطرد الأميركيين، ولكنهم الآن في عراق وصراع دموي، وهذا الواقع المر هو الذي يوصلهم إلى نتيجة أنه إذا ذهب الاحتلال ذهب العراق، وطالما أن الأطراف العراقية هي التي تشعل الاقتتال، فلينها هذا الاقتتال؛ لكي لا يجد الأميركيون ذريعة للبقاء.

| وهل المحتلون أنفسهم يريدون مغادرة العراق
حقاً؟

- مفهوم العراق الأميركي المتصل بالاحتلال قد ينتهي مثلما حدث للعراق البريطاني، ففي ٣ تشرين ١٩٣٢ انتهى الاحتلال البريطاني وأعلن استقلال العراق، لكن كانت هناك قاعدتان بريطانيتان، بهذا المعنى يبقى العراق الآن أميركياً وبرضا الأطراف جميعها. وفي بعض الأحيان لا يكون الصراع ضد أميركا، وإنما عليها، انظر إلى هؤلاء الذين كانوا يتصارعون، الآن كل منهم يقول: إن أميركا لا بد أن تبقى؛ لأن كلاً منهم يود خطب ود الأميركيين، هناك صراع بين

السني العربي والسني العراقي. السني العربي مسكين جاء للعراق لا ليطلب دفتر إقامة ولا إجازة عمل ولا جاء للسياحة، بل جاء ليموت، فأمامه «الجنة الخضراء»، أما السني العراقي فإنه يريد الاستيلاء على «المنطقة الخضراء»، ويفكر كيف يصل لها ويأخذ حقوقه مثل الشيعة.

هل يعني هذا أن المقاومة الباقية من السنة
العرب فقط؟

- وقليل من السنة العراقيين، وبعض الشيعة كأفراد، أما العشائر العربية فلا توجد داخل التيار الصدري ولا غيره، فهي الآن في دور السبات، ليس لها دور في السلطة ولا في المعارضة.

نشر لك رأي تؤكد فيه أن مشايخ الشيعة أمرهم
رجراج، وفقهاء السنة هائجون مائجون، ماذا
تقصد بهذا؟

- الشيعة مثل المشتبهة المستحبة، أتوا بالأميركيين معاونين لهم، ومع ذلك يحاولون إخفاء ذلك، لكن هذا لم يحدث مع السنة في العراق البريطاني، كان موقفهم واضحاً.

وذكرت أيضاً أن الشيعة في أثناء معارضتهم كانوا
أرأف بالسنة، على عكس السنة حينما صاروا
في العراق الأميركي، على حد اصطلاحك،
محكومين؟

- وما زلت أقول، إلى حد ضرب سامراء.

| وبعدها ماذا كنت تقول؟

- بعدها بدأ الشيعة ينتقمون، وقبل هذا كان دورهم سلمياً، في أثناء وجود سيادة سنية لم يقتل محافظ ولا اغتيل رئيس مركز لأنه سني، ولا اغتصبت فتاة سنية من شيعي.



الشيعة أكثر تسامحاً من السنة؟!!

كأنك تقول: إن الشيعة أكثر تسامحاً من السنة؟

- نعم كانوا كذلك في العراق البريطاني، عند مقارنتهم بالسنة في العراق الأميركي، واستمرت الحال إلى حد ما في العراق الأميركي إلى أن ضربت سامراء، بعد ضرب سامراء تتمر الشيعة وبدؤوا في إحراق مساجد السنة، وبدأ القتل على الهوية بصورة لم يشهدها العراق من قبل!

أشرت في بعض أطروحاتك إلى أن المشروع العربي هو الحل، بينما ترى طوائف أخرى من الطائفتين أن الحل بيد المعممين من السنة والشيعة، بمعنى آخر، رجال الدين؟

- هذا سؤال فكري فضفاض، وأنا عندي كتاب عن الدولة القومية، راجعه تجد فيه الإجابة على سؤالك.

هل تنص في كتابك على أن الحل لدى الإسلاميين أم لا؟ هذا ما تهمني معرفته الآن؟

- ذبحتني بأسئلتك! خفف عليّ.

تحاملت في أحد كتبك على القومية العربية،
وقلت: إنها تعريب، والتعريب حرام، لماذا؟

- التعريب هو القسر على اعتناق اللغة بلا إرادة الطرف المستعرب، وتعريب العجم يعني تغيير هويتهم، وهو ما يتعارض مع الجعل الإلهي في قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ (الحجرات: ١٢)، ولكن بالاستجابة الطبيعية الشعوب كلها تعربت، لأن العروبة أصبحت وسيلة المسلم لفهم الإسلام، فاستعرب بإرادته، ولذلك عمر بن الخطاب حين فتح العراق ووجد القوميات غير العربية تركها على لغاتها، ولو أن عمر فرض على هؤلاء العروبة لما بقي من هؤلاء أعجمي أو تركماني أو كردي أو آشوري.

ذكرت في أحد كتبك أنه لا توجد فتوى شيعية
تجيز قتل السنّي، بينما توجد أعداد من الفتاوى
السنّية قديماً وحديثاً تجيز إهدردم الشيعة، هل
أنت متأكد من ذلك؟ والقتل على الهوية الذي
اعترفت به آنفاً، إلام يستند؟

- هذه مسألة يطول شرحها وقد تلتبس على الناس، لأنها تحتاج إلى مقدمات، فالطائفية الشيعية في العراق تاريخية، أما الطائفية السنّية فإنها معاصرة، هذه واحدة. الشيعي غير متصلح مع التاريخ بسبب شتمه بعض الصحابة، بخلاف السنّي فإنه متصلح

مع التاريخ، لأن كل أئمة أهل البيت بالنسبة إليه أولياء صالحون، فمشت أمورهم. فالشيعي عندما يشتم عمر لا يرد عليه السني بشتم علي، وإنما يقول له: أنت كافر ودمك حلال، هذا السبب في ظهور الفتاوى التي سألت عنها لدى السنة، أما الشيعة فإنهم لم يحتاجوا لتلك الفتاوى حتى يصدروها.

| عبد العزيز السويد: والنواصب؟!|

- النواصب المقصود بهم بنو أمية، وهم قوم لهم خطاب خاص في الفقه الشيعي.



مساكين يبحثون عن الجنة!

في معرض حديثك عن المفارقة بين الطائفتين في الاستجابة للعنف، ذكرت في أحد لقاءاتك أنه لن يظهر «زرقاوي شيعي»، ولكن ما الفرق بين الزرقاوي والمليشيات التي تؤدي المهمة نفسها في الطرف المقابل؟

- قد يكون هناك التباس، فأنا خرجت على «المستقلة» ذات يوم، وقلت: إن جبر صولاغ هو «زرقاوي الشيعة!»، الفارق أن المعسكر الشيعي يمثل الدولة وهذا الخطر، وقلت: إن السنة سيقتلون الزرقاوي. وأكدت أن مشكلة الزرقاوي قبل أن يقتل في الأساس مع السنة، لأن السني العراقي يريد الحكم والزرقاوي يريد الموت، فحتى يتخلصوا من هذا الإشكال عليهم أن يقتلوه، وفعلاً تخلصوا منه. السنة هم الذين قتلوا الزرقاوي!

أكدت أن السني العراقي يريد الحكم، هل أفهم من هذا أن في العراق سنة غير عرب، أو عرباً غير عراقيين مؤثرين في الخريطة السياسية؟

- السني العربي جاء للعراق ليس طلباً لدفتر الإقامة ولا حق عمل ولا راتب، جاء ليموت في المنطقة الخضراء، أما السني العراقي فإنه أمام المنطقة الخضراء، يريد أن يتفاهم ويسهم في الحكم. السني العربي ليس جاسوساً ولا مرتزقاً.

| عبدالعزیز السويد: إرهابي يُسمّى؟

- السني العربي ليس إرهابياً، إنما هو مسكين يبحث عن الجنة. أما السني العراقي فإنه مدني سياسي. وهذه مشكلة السلفية، فإنها عقيدة بلا مصالح، بخلاف الإخوان فإن لديهم عقيدة ومصالح.

| ذكرت في أحد حواراتك الصحافية القليلة جداً، أنك أحصيت ٧٠٠ ساعة تدعم فيها قنوات عربية منظمات الذبح السنية، لماذا لا تسميها منظمات مقاومة؟

- هذا الكلام كان فيما قبل عام ٢٠٠٥، أما الآن فإن هناك متغيرات حدثت، فبعد سامراء استشرس الشيعة، فصاروا أيضاً شركاء في الذبح على الهوية.

| ألمحت إلى أن الليبرالية قد يكون بيدها الحل بعد أن فشلت الطائفية؟

- الليبرالية ليست عقيدة وإنما هي منهج، والليبرالية التي أعنيها هي التي تمنح الناس التفكير والمشاركة في الرأي، وهي التي تمثل معنى آية: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ (البقرة: ٢٥٦)، ولو أنها آية منسوخة!

وأنا شخصياً لا أرى أن الليبرالية حل، وإنما هي منهج للعمل.
والعراق لم يكن في يوم من الأيام ليبرالياً، ولا يتحمل الليبرالية غير
المتدرجة، والمؤسسات التي تقوم عليها الليبرالية لم تقم في العراق،
وهي الصحافة الحرة والبرلمان والرأي العام.



انتفض الملك عندما أبلغته رسالة الأميركيين!

بما أنك أقررت في إجابة سابقة أنك كنت تناصر المشروع الأميركي في العراق، فما هو الدور السعودي في إسقاط صدام، وأنت أحد الذين لهم اتصال بقمّة الهرم السياسي في المملكة، ومبرر هذا السؤال أنه رغم مساعي السعودية في نهي الأميركيين عن اجتياح العراق، إلا أن أطرافاً تزعم أن وراء هذا التوجه، خطاباً مستتراً يؤلبهم عليه... بصفتك شاهداً مع المشروع الأميركي في تلك المدة... ما هي الحقيقة؟

- الدولة السعودية دولة مركزية، لا تحتل ظهور أقلية وفرقاء، فهي تسير على نظام أبوي صارم، وكان الملك فهد قد ترأس اجتماعاً للمعارضة العراقية كنت أحد المشاركين فيه، لكن الإدارة الأميركية هي التي تشظت إلى أكثر من فريق، وانتهت بانتصار الكونجرس والبنتاغون على فريق السي.آي.إيه والخارجية. كانت المملكة العربية السعودية تسعى للتغيير بأسلوب الانقلاب العسكري، فاجتمع إليها عسكريون عراقيون خارجون على النظام، مع شخصيات كان

لهم دور في قيادة حزب البعث، بالإضافة إلى عسكريين يعيشون في المملكة منذ مطلع السبعينيات، لكن السعودية لا يتناسب وقارها مع العمل الحزبي وتشكيل خلايا ثورية وتحريك القوى والعوامل الخاملة، مما قد تتجم عنه مخاطر فتنة على الطريقة العراقية، فتوقفت المملكة للمراجعة، وإن بقيت مصرّة على أن الانقلاب أفضل الطرق للتغيير في العراق.

وقد تشكل كيان معارض بنظرية أخرى داخل الولايات المتحدة الأميركية لسحب المعارضة من الرياض إلى واشنطن، واعتماد شخصيات أخرى، فظهر المؤتمر الوطني وأحمد الجلبي، وانعقد مؤتمر فيينا، وكان انعقاده مزعجاً للدول الثلاث التي كانت تشرف على اجتماعات المعارضة العراقية، وهي سورية وإيران والسعودية.

وأنت أين كنت من هذين المشروعين، وقد بدت لك
علاقات خاصة مع السعوديين في وقت مبكر؟

- كنت ضد مشروع الانقلاب، لأنه يعني بالنسبة لي أن كتبي وكتاباتي ومليون ضحية عراقية لم تكن إلا عبثاً، بحيث أغفل «دولة المنظمة السرية»، و«الشيعية والدولة القومية» وسواهما، وجهودي التي تركز على عالمية بغداد وسلطة مشتركة وليست أحادية.

لكن لا أخفيك الآن، وقد وضعت في مواجهات سرية وعلنية مع رجال المشروع السعودي، ومع الجهة المسؤولة عن الملف العراقي، فأقول، ولكن بعد تجربتنا في العراق الأميركي: إن فكرة

الانقلاب كانت أسلم وأنفع مع قليل أو كثير من المشاركة في صناعة القرار.

وكيف توفق بين علاقاتك مع السعوديين، ودورك
في المعارضة، والسعودية بشهادتك كانت ضد
المشروع الأميركي؟

- عندما تتصف بشيء من سعة الصدر والليبرالية والحياد، يمكن أن تتحدث مع خصمين في وقت واحد، وربما سيحتاجك الخصمان معاً. كنت في اجتماع ثنائي مع أحمد الجلبلي في مكتبة بمقر المؤتمر الوطني في حي نايس (برج في لندن)، ولم أكن من مرتادي هذا المقر، ولم تزد زياراتي له على الثلاث مرات خلال سنتين، حيث أكتفي بالعمل من مكنتي، بعيداً عن كل ما يذكرني بالمركز والمقر والاجتماع.

استعرض الجلبلي بتفاؤله المعهود خطوات سياسية مفيدة لعملية التغيير، وأشار إلى السعودية باعتبارها مشكلة للعراق في الحاضر والمستقبل (!!!) وسألني إذا ما كان ممكناً لي أن أستثمر علاقاتي مع القيادة السعودية لإزالة مخاوفها من المستقبل، وتحدث عن موقف البنتاغون وبعض النافذين في الكونجرس من سياسة المملكة إزاء المؤتمر الوطني.

وفي الأمثلة التي قدمها لي، وهو ينقل آراء المسؤولين الكبار في الإدارة الأميركية، أحسست بهجمة تستهدف الملك عبد الله شخصياً

(لما كان ولياً للعهد)، فسألته عما إذا كان وراء هذا الاستهداف لوبي إسرائيلي، فقال:

الأميريكيون يتحدثون عن مصالحهم بوضوح، وعن مصالح إسرائيل بالطريقة نفسها، ولا يذهب بك الاعتقاد أن مسؤولاً كبيراً في الإدارة الأميركية يتحول إلى أداة لصالح دولة أخرى، إلا إذا كانت الدولتان تشتركان في رؤية ومصالح واحدة.

وبحركة سريعة قال الجليبي: لا يجوز استسهال التحليلات، لأن هناك خلافاً سعودياً أميركياً كبيراً، فهل تريد أن أسمعك موقف مسؤولين كبار من السعودية والأمير عبد الله بالذات؟ فتقدم إلى الهاتف، وطلب اسم شخص في البنتاغون وأنا أستمع إلى حوارهم وكان الشخص الأميركي يتحدث بلغة غير ودية عن السعودية والأمير عبد الله!

وكان الجليبي قد عرّف لي الشخص المتحدث، وسألني بعد انتهاء المكالمة التي استمرت عشرين دقيقة، إذا كنت مستعداً لنقل وجهة نظر شخصيات أميركية أكبر من هذا المتحدث، وحمل رسالة إلى الأمير عبد الله، تكشف موقف فريق فعال في الإدارة الأميركية من المملكة العربية السعودية، فاعتذرت إذا كانت الرسالة حادة أو صارمة، واشترطت الالتقاء بالشخصية الأميركية مباشرة، ومعرفة مكانتها هنالك، فحضر بعد أيام مسؤول أميركي رفيع المستوى، وتحدث بنوع من الاحترام للأمير، وحرص المتحدث على أن يرى

الأمير قائداً لدولة بحجم المملكة، لكنه لم يخف ملاحظات إدارته الخاصة، وتتعلق بثلاثة أهداف:

(١) إن التثقيف في المملكة ونظام التعليم، من شأنها -حسب زعمهم- أن تخرج مجتمعاً يمكن أن يظهر فيه متطرفون ينتشرون في العالم.

(٢) إن السعودية، إن لم تدعم صدام حسين، فإنها لم تشارك الإدارة الأميركية في مشروعها لإسقاطه، وأظنها الآن - أي المملكة - تقدم العون حالياً للحيلولة دون سقوط نظام صدام حسين، وكأن المتحدث يلوح إلى رد فعل الجوار العراقي من إستراتيجية التغيير الأميركي في المنطقة.

(٣) إن سياسة المملكة والأمير عبد الله بالذات تجاه قضية فلسطين تميل إلى التشدد، بل وتحريض دول كمبر على التزام هذا الجانب. ومشاركة الدول العربية المتشددة في قضية السلام العربي الإسرائيلي.

اتصلت في مساء ذلك اليوم بصديق كبير في الديوان الملكي السعودي، وأشرت إلى اعتذاراي عن إيصال رسالة أبلغني بها مسؤول أميركي إلى الأمير عبد الله، لما فيها من مواجهة لست أهلاً لها.

فقال المتحدث السعودي: لا. عليك أن تبلغها لصاحبها بأسرع وقت اليوم قبل الغد، وكان يوم الخميس، فوصلت الرياض بعد منتصف

الليل، وتوجهت إلى لقاء الأمير صباح يوم الجمعة في منزله في الرياض.

عرضت عليه تطورات الوضع في المعارضة العراقية، واتجاه النية للتغيير في العراق لا محالة، وعن إمكانية التأقلم الإقليمي مع هذا الواقع، بما سيأتي به من مستجدات وتطورات، وعرجت بأسلوب دبلوماسي رقيق إلى ما أسميته احتراماً للمقام باتهامات متداولة عند فريق أميركي نافذ، وبدأت أقرب من عرض الملاحظات الأميركية الثلاث، فانتفض الأمير وهو يستمع إلى الملاحظة الأولى قائلاً: هل يريد هؤلاء أن نخرج على عقيدتنا ومبادئ ديننا وأعراف مجتمعنا مقابل أن يرضوا عنا؟ ومن هؤلاء الذين يكيدون هذا الكيد، ومن يتبنى أمر مواجهة الدولة بمسلميها؟ وماذا يبقى لنا إذا حدث هذا الأمر لا سمح الله؟ وهل يعرف هذا الفريق أو ذاك، أننا أحدثنا إصلاحات كبيرة في نظام التعليم.

وعند الملاحظة الثانية المتعلقة بمستقبل نظام صدام حسين قال الأمير عبد الله: إننا لسنا مسؤولين عن استقدام صدام حسين وحزبه إلى السلطة، ونحن على خلاف معه منذ يوم الانقلاب حتى تناولته على حرمة المملكة بضرب عاصمتها بالصواريخ، وحشد جيشه على حدودها وتهديد أمنها. لكننا لن نتعاون مع دولة تسعى للإطاحة بنظام عربي بهذه الطريقة، ولا نشارك في هذه السابقة، ولو اعتبرنا مع من يسعى لحماية صدام، ولن نضحي بمصالح العراق ووحدته، بل نحذر هؤلاء من مخاطر هذا المشروع، وهذه الطريقة لتغيير حكومة أو نظام.

أما بخصوص الملاحظة الثالثة، فالمجال متسع لتقديم أفكار أو مشروع للسلام العربي الإسرائيلي بما يحفظ مصالح العرب والفلسطينيين، وهذا الأمر منوط بجميع الدول العربية، وهو أمر قابل للمناقشة.

لم أكن مستمعاً لردود الأمير عبدالله فحسب، بل كنت محاوراً فعلاً، حتى إنني وهو في صميم دفاعه بلغة قومية صارمة قلت له:

إذن من حق هؤلاء أن يصفوا موقف صاحب السمو بما يشبه مواقف ماوتسي تونغ سابقاً. لقد طرحت عليه هذا الاسم بابتسامة، ثم أردفت قائلاً:

صاحب السمو، إن المملكة لم تقم إلا على سياسة الاعتدال والتفاهم مع الغرب، فلما ذا لا تترك صدام حسين ونظامه الذي جرّ المآسي إلى هذه المنطقة؟ ثم إن المملكة لا تتحمل سياسية متشددة.

قال الأمير: إنني أواجه المتشددين في كل يوم، ولكن بطريقتنا الخاصة وبأسلوبنا وأعرافنا. ثم وجه الأمير كلامه لي قائلاً بالنص:

إن هذا المشروع سيجلب لكم المآسي والفرقة، ولن يعود عليكم وعلى العراق بالخير.

كتابي أهدر دمي!

أخيراً إلى أي شيء انتهيت في كتابك «عمر
والتشيع» الذي أعادك إلى الأضواء مجدداً؟

- من الأخطاء الكبرى أن ينظر إلى عمر على أنه نصف الإسلام،
والنصف الآخر علي. عمر ليس نصف الاسلام، بل هو كل الإسلام
ناقصاً خمسة!

ومن هم الخمسة؟

- أصحاب القطيعة، وبالتالي لا توجد مناصفة، وللأسف حتى الطرف
السني خضع لهذه المناصفة الخاسرة، عمر لم يتطفف نصفاً، عمر
هو كل العرب ناقصاً خمسة، عمر هو كل التاريخ ناقصاً خمسة في
المئة، خذ مؤلفي التشيع القدامى المسعودي والأصفهاني واليعقوبي،
تجد أن رأيهم في عمر مثل رأي حسن العلوي.

وكيف كانت ردود الفعل بعد الكتاب؟

- الكتاب لم يُوزَّع بعد.

وما توقعك لردود الفعل؟

- رد الفعل معروف عندي منذ سميت ابني عمر قبل ٤٣ سنة، ويتوافد علي أناس لم ينطق أحد منهم في حياته باسم عمر، فجلسوا يقترحون علي أن أسميه عماراً، بحثاً عن أي تحريف لاسم عمر، وبعضهم يسألني: أي عمر تقصد؟ فأقول عمر في التاريخ واحد، هو عمر بن الخطاب، وما سميت ابني عمر إلا حباً في عمر ابن الخطاب، وسيأتي يوم أكتب فيه كتاباً عن عمر. خمسون عاماً مضت وأنا أبشر نفسي بكتاب أخطه عن عمر، فكتابي هذا ابن خمسين سنة، جمعت فيه عواطف خمسة عقود!

عبدالعزیز السويد: وأنا أشهد أنني معك عام ١٩٩٢ وكنا نتحدث عن عمر، فأنا أشهد أن شخصية عمر منذ عهد بعيد كانت مسيطرة على أبي عمر حسن العلوي.

- أنا لست متحولاً أبداً، كتابي هذا هو أنا منذ خلقت.

هناك من سيشكك في صدقية نهجك هذا، وسيفسره بنظرة تأمرية، من ذلك وجدت صحيفة عراقية تقول: إنك شيعي في المغنم، ومتبرئ من المذهب في الملمات.

- (غاضباً) إذا كان المغنم أن الدولة الحاكمة في العراق الآن شيعية وأنا من بُناها، إذ كنت زعيم المعارضة الإعلامية منذ ٢٣ سنة، فالمفترض مني على رأي من يقول هذا أن أقبل بكل العروض التي

جاءتني منها، وأتمتع بكل الامتيازات التي يتمتع بها أمثالي، أو أكون تاجراً أعقد الصفقات ويصير عندي ملايين. أنا الخاسر. تارك بلدي ومواقعي ومناصبي، والرواتب التي تدرها، والصفقات التي تدرها السلطة، وأعرض حياتي للتهديد... كل هذا مغنم؟ أأحد يترك كل ذلك ويقال: إنه طالب مغنم، لا يقول هذا إلا السفلة من الشيعة والسنة!

هذا ظننا فيك، ولكن هذه تهمة طبيعي أن تتردد،
فسامحنا؟

- عبد العزيز السويد: من البدهي أن يكون لمثلك أعداء من السنة والشيعة، فكل المصلحين عانوا.

- العلوي: تألّفي لهذا الكتاب يعني أنني غامرت بروحي، ووظيفتي تركتها، وبلدي الذي يقتل على الهوية قاطعته، فأني شيء يمكن أن يعوضني عن كل الذي خسرتة؟ وأي دولة سنية تستطيع أن تعوضني عن حياتي وعن خسائري؟

عبد العزيز السويد كرر مواساته السابقة للضيف.



دستور العراق الحالي تشويهه للفيديريالية

الدستور الحالي ليس أكثر ليبرالية من الدستور الملكي، لقد كان لدينا دستور ملكي تأسس عام ١٩٢٥، وكان نموذجاً يحتذى به، لكن طراز الحياة السياسية لجم سراج هذا الدستور. الدستور الحالي به هوامش ليبرالية واضحة، تجعله دستوراً ليبرالياً، لكن فيه أخطاء واضحة أضعفت المركزية أكثر مما ينبغي، وأعطت الأقاليم الصغرى حقاً في القرار الأكبر، في صورة لا توجد في نظام الولايات والفيديرياليات العالمية.

في أميركا، وهي دولة فيديريالية، هل تسمع صوتاً غير صوت بوش؟ أين صوت حاكم كاليفورنيا؟ هل سمعت أن حاكم كاليفورنيا ذهب ليعقد اتفاقاً مع المكسيك مثلاً؟! بينما في العراق يذهب محافظ البصرة ليعقد اتفاقاً مع إيران! الدستور هو الذي أعطاه هذا الحق. الدستور العراقي أعطى الحق للمحافظة في أن تنفصل عن الإقليم، إذن، دستور العراق الحالي لا يؤمن القدر المطلوب للوحدة الوطنية، ويعتبر تشويهاً للنظام الفيديريالي في العالم الذي يوصف بالليبرالية. الليبراليات في العالم تقوم على مركزية القضاء والخارجية والدفاع، ولا تعطي أي حق للولايات في أن تخرج عن حدودها وتبرم معاهدات كما نرى في العراق! (من الحوار).

القطيعة ستحاصر الشيعة العرب

على سعة نفوذها المحكم على المؤسسة الدينية وسيطرتها على الذهن الشعبي، لم يقدر لنظرية القطيعة أن تجد لها صالة أكاديمية ومريدين متتورين في الوسط الشيعي على الأقل في مقاسات النخب النوعية.

إن أكثر الأسماء بريقاً في العراق وأحياناً في البلدان العربية والإسلامية تنتمي إلى القول بمبدأ المشاركة والتجانس بين الإمامة والخلافة في العهد الراشد.

ففي الجانب المشارك، تلمع أسماء ريادية لم ينافسها اسم في مدرسة القطيعة، التي تبدو أكاديمياً شبه مهجورة في العراق، ليس لغلبة النشاط السني الداعم والمبشر بنظرية المشاركة، بل لعبقريات خرجت من مدن التشيع إلى العالمين العربي والإسلامي برؤية تنويرية رائدة.

فعسى أن نللم شتاتنا لقيام مدرسة لوحدة المشاركة بأساتذتها وأتباعها وإنتاجها الفكري والإعلامي، وبهذا قد نصون وحدة التاريخ العربي، ونصون قبل ذلك حياة المنتمين لمدرسة أهل البيت، ونتسامى

من حمأة الكراهية والدماء إلى رحاب السلم الأهلي، لا سيما وأهل التشيع هم الأقلية في محيطهم العربي، ومثل ذلك في عالمهم الإسلامي، بدل المواجهة الإعلامية التي طالما تقود في مرحلة آتية أصحابها إلى سكاكين الذبح.

إن دعاة القطيعة لا يقتصر أداؤهم السلبي على مرحلة في التاريخ الإسلامي فحسب، بل أيضاً على قطيعة اجتماعية وسياسية وحياتية بشكل عام مع مجتمعا العربي.

ومع ارتفاع وتيرة التحريض في خطاب القطيعة ترتفع إجراءات القطيعة العربية لحاملي هوية التشيع، فيصبح الوسط الشيعي هو المقاطع والمركون في حجر العزلة.

وإذا كانت نظرية القطيعة أقامت في إيران إمبراطوريات كبرى، وأسهمت في إيجاد وحدة تقوم على التمدد القومي، فلأن إيران عالم خاص يعيش في شبه قارة، لها عناصر قوة لا تتوافر لأهل التشيع في بلد آخر. وليس لإيران مجال حيوي غير بلاد فارس، فيما المجال الحيوي للشيعية العرب مفتوح على عالم يمتد من ثراء الخليج وينتهي بثراء المحيطات، وسيحول بين أبنائنا وحق الحياة في امتدادهم العربي، قول آبائهم بنظرية القطيعة مما يدفعني إلى التصريح بأن نظرية المشاركة لا تقف عند اندماج الإمام علي مع الدولة والمحيط في التاريخ الإسلامي الأول، وإنما تدعو إلى اندماج بشري وقومي وإنساني واندماج المصالح للمنحدرين من سلالات

شيوعية مع مجتمعه العربي، ومن دون ذلك فسيكون عبور شيعي عراقي إلى الخليج كعبور الخليجي السني إلى جنوب العراق في هذه الأيام من أواخر عام ٢٠٠٦. وهكذا يتحد الحرص على المصالحة التاريخية بالحرص على الصلح الاجتماعي مع الماضي والحاضر.

إن كتاب «أصل الشيعة وأصولها» للإمام كاشف الغطاء ومهزلة العقل البشري لعلي الوردي وفصول من تاريخ الإسلام لهادي العلوي وشيء من هذه المحاولة هي جوازات مرور تخترق جدران القطيعة، التي يستفاد منها في إيران لكنها ستضرب مصالح الشيعة العرب أينما ولوا وجوههم.

وفي منهج الوردي يمكن عرض الملاحظات الآتية لعل جيلاً سينتبه إلى أهميتها مثلما استيقظ العراقيون بعد الحرب العراقية - الإيرانية على صوت الوردي وعادوا يستجدون بمناهجه العلمية.

لقد أشاح الوردي عن التاريخ «أبراده القشب» وتحدث إليه بمثل ما تحدث طه حسين وجهاً إلى وجهه، وأتاح ذلك له التحاور الإنساني مع المقدس، ووضع رجاله على طاولات التشريح الاجتماعي العلمي باعتبارهم بشراً، واستخرج من تاريخ الصراع المذهبي المرويوات المشتركة والخاصة لإبطال القائلين بنظرية القطيعة ليس فقط بين عمر وعلي، بل أعطى أمثلة ونصوصاً لفقهاء المذاهب الأربعة وميلهم لأهل البيت، واستل الوردي عمر بن الخطاب بمهارة وعفوية من أمويته المخترعة، وعاد به إلى الخط المحمدي، فأبطل أطروحات

فقهاء الخلاف وأحالتها إلى عاملين: صراع المصالح الخاصة، وعامل يتصل بطبيعة النفس البشرية وتعقيداتها، والتقط الممتع والجاذب من تاريخ الإسلام. فحبيب إليه من لم تكن لهم مصالح في القطيعة، بينما كان الفقهاء ورجال الدين من أوائل المتطوعين لوضع كتب في الرد عليه، وأبرز من كتب في نقد الوردي آية الله السيد مرتضى العسكري ورضا صادق وعبد المنعم الكاظمي وصالح القزويني. من كتاب «عمر والتشيع».



لو اعتمد الانقلاب لربح الشيعة والسنة معاً!

سأختلف مع القائلين بأن الاجتياح الأميركي يرتبط بتداعيات ١١ سبتمبر.

يحضرنى في هذا المجال رأي نشرته في المجلات والصحف العربية، ودونته في أحد كتبي، وهو جواب على سؤال مماثل عن الاجتياح العراقي للكويت، وما قلته في هذا الاجتياح يصلح أن يكون قاعدة تاريخية للاجتياح الأميركي.

إن الكويتيين كرّسوا جهودهم وأفكارهم ونشاطاتهم، حتى في كتابة تاريخ الاجتياح على الاجتياح نفسه، وهو لحظة عسكرية محضة، وتنفيذ قرار عسكري يتصل كما أعتقد بأيدولوجيا الضم التي تمتد في العراق إلى منتصف الثلاثينيات الميلادية.

إن الغزو الأميركي كذلك ليس هو اليوم الذي يُكتب تاريخاً بدخول القوات الأميركية بغداد، أو بسقوط النظام في ٩ نيسان (أبريل) ٢٠٠٣ م.

إنه ليس نتاج لحظة رحمانية أو شيطانية، جمعت أشخاصاً من المعارضة العراقية مع مسؤولين في الكونغرس والخارجية والأمن،

ليخرجوا منها متفقين على برنامج إسقاط النظام الذي تعارضه هذه الشخصيات العراقية باجتياح عسكري أميركي.

لو كان كل معارض يحظى بتأييد أميركي، ثم يتحول هذا التأييد إلى عمل عسكري ضخم لإسقاط النظام السياسي، لكانت أول تجربة ستم أو ستجز في كوبا المجاورة للولايات المتحدة، حيث تقيم المعارضة الكوبية المنظمة والواسعة هناك منذ أكثر من أربعين عاماً، ولكانت حركة «مجاهدي خلق» الأكثر تنظيماً وإقداماً، شكلت مجلس الحكم لإيران الأميركية، منذ عشرين عاماً، ولكانت المعارضة الليبية سبقتنا بثلاثين عاماً لإقامة ليبيا الأميركية.

إن ظهور العراق الأميركي في ٩-٤-٢٠٠٣ ليس أول ظهور، بقدر ما كان يوم ولادة سبقته مخاضات معقدة، ولعلنا عشناها، لا متفرجين أو محايدين، بل مشاركين.

فمنذ انتهاء العراق البريطاني يوم ١٤ تموز ١٩٥٨م، وقيام العراق العراقي للمرة الأولى، وتجميد العمل بتمذهب الدولة، ونقل بغداد من أحاديثها «المقرفة» إلى عالميتها العباسية الرحبة، وتعرض الحكومة العراقية المحايدة عنصرياً ودينياً وطائفياً إلى محاولات يومية قادمة من غرب العراق وغرب العالم، انتهت يوم ٩ شباط (فبراير) ١٩٦٣م بإعدام العراق العراقي زعامة وحركة وطنية وحزباً ديمقراطياً، وليس لك أن تتساءل كيف أسقط نظام سياسي كان أتباعه أكثر من خصومه، وقوته العسكرية باعتباره محمياً بالجيش العراقي لا

تساويها قوة ميليشيا ناشئة معزولة باسم الحرس القومي، فيسقط الجيش والنظام بيدها .

إن زعماء الحزب الذين أسهموا في حركة إعدام العراق العراقي، هم الذين أجابوا على هذا السؤال بشجاعة لم يتحل بها نظراؤهم في الأحزاب العراقية .

أما واحد مثلي، عاش مع الحزب منذ منتصف الخمسينيات بصفة (مراقب) فإنه ربما التقط الكثير، واحتفظ بالأكثر من الشهادات والأفكار، التي قد تؤيد ما ذهب إليه زعماء الحزب ممن خرجوا عليه في وقت باكر .

ولا أتردد في القول هنا: إن الغزو الأميركي للعراق هو لحظة عسكرية تشبه غزو الكويت، تسبقها أربعون عاماً كشفت عن علاقة ما بين ٩ شباط و٩ نيسان ٢٠٠٣، وهي علاقة توالد وتراحم وانتساب، ولهذا، ومن دون مقدمات فضفاضة، أقول: إن حجر الأساس للعراق الأميركي وضع في يوم ٩ شباط ١٩٦٣، في أستوديو الإذاعة العراقية، وممرت الأربعون عاماً بمراحل وحكومات، وبأحزاب ورجال، قد لا يكونون شركاء في بناء العراق الأميركي، إنما هم شركاء في القضاء على العراق العراقي. وإذا كانت بعض المراحل التي حكم فيها القوميون العرب بنقائهم الناصري، ووطنيتهم العربية، مُدداً داخل هذه الأربعين عاماً، فمن المعروف أنهم لم يكونوا جزءاً ولا طرفاً ينافس المركز الأول المتمثل في حزب ٨ شباط و١٧ تموز، بزعامته التي برمجت الأوضاع

وهيأت الظروف لإنضاج وقيام العراق الأميركي. ربما تحدثنا عن تفاصيل العراق الأميركي من زوايا مختلفة، وبغضوية كما ترى، أما إذا كنت تبحث عن نبوءة للمستقبل فلتقرأ في فنجان العراق الأميركي. إن العراق سيكون فيديريالياً وديموقراطياً، وقد غادر مرحلة تاريخية، وليس لأي قوة سياسية أن تعيده إليها. لكني أفكر دائماً بالخبرة السنية الهائلة في صناعة السلطة وإدارتها، ما يدفعني إلى مجاهرة الفئات العراقية الأخرى بضرورة ألا تتعامل مع السنة باعتبارهم رقماً سكانياً. وألا تخضع مشاركتهم في السلطة إلى نسب رياضية، وألا يغتر طرف، لاسيما الشيعة، بحجم التصويت الانتخابي؛ لأن السنة قد يرون أنفسهم أمام وضع صعب في قبول حكم الغالبية المطلقة، وقد يتعرض العراق إلى الانقسام برغبة سنية هذه المرة، وليس برغبة الدكتور أحمد الجبلي والسيد باقر ياسين في إقامة إقليم الجنوب قبل أوانه.

وتلوح أمامي خطوط لأفكار قد تكون الأطراف السنية والإقليمية فكرت أو ستفكر فيها، لتوسيع الجغرافيا السنية في الفيدراليات المقترحة، بضم ما يتعارفون عليه بإقليم بغداد إلى هذه الفيدرالية، وجعله يمتد إلى محافظة ديالى حتى الحدود الإيرانية، فيما ترتبط ذراعه الغربية بالحدود السورية عبر الفلوجة والرمادي والقائم.

ولهذا ألاحظ أن عمليات التفجير والذبح تتركز في مناطق بغداد المختلطة، حيث تقبل المناطق المختلطة فكرة التحول إلى مناطق

متجانسة أحادية مغلقة، وهو ما يسمونه الآن بالتطهير العرقي، أو المذهبي، فيما هو أقرب إلى «التقدير» منه إلى «الطهر والطارحة».

ومن شأن عملية كهذه أن تنتهي إلى إقامة جدار سني عازل، من خانقين حتى الحدود السورية والأردنية.

أما توسيع جغرافيا الفيديرالية السنية فهو واضح في عمليات ذبح طائفي، تبدأ من اليوسفية والمحمودية واللطيفية والإسكندرية، إلى مشارف الحلة الشيعية، والمدائن، ومشارف الكوت، وقد لا تعترض أميركا على نتائج قد يحققها السيافون بدلاً من السياسيين، والزرقاوي القادم من الجوار الإسرائيلي بدلاً من ديموقراطية كامل الجادرجي وحسين جميل وصديق شنشل وفائق السامرائي، وسلامة الطوية للرئيس محمد عبدالرحمن عارف من قادة السنة في العراق.

لقد قيل في رسم الحدود العراقية مع الكويت والسعودية: إنها جاءت بضربة قلم خاطفة من برسي كوكس، وأقول الآن: إن ضربة سيف خاطفة من الزرقاوي ستقطع العراق من طربيل حتى خانقين. وبهذا يتخلص السنة من حكم الأكثرية، ويتشكل الخط العازل بين الشيعة والأكراد، بخط عازل لا شيعي ولا كردي.

في مثل هذه اللحظات، ينفجر سري وأشعر بعذاب داخلي، وأراجع حجم شراستي ضد أفكار كان السعوديون ورجالهم من العراقيين يطرحونها، لإنهاء صدام حسين بانقلاب عسكري تراعي فيه السلطة الجديدة التوازنات الطائفية.

لو اعتمد الانقلاب لإسقاط صدام حسين لربح الشيعة والسنة، ولحشر قادة الانقلاب خمسة آلاف حزبي متورطين في جرائم إنسانية في معسكرات معزولة، وتركوهم يموتون عرياناً من دون أن يتهمهم أحد بالطائفية، وكان يمكن لهذا الدور أن يقوم به كثيرون ممن لم أتفق معهم كوفيق السامرائي وإبراهيم الداود وعبد الغني الراوي ونزار الخزرجي وعبد الأمير عبيس.

من كتاب «العراق الأميركي»



الخفاش الأسود

هتزر الساحات والسليط الساخر

سيرة ذاتية (بصيافته)

أخوكم حسن بن عمر بن مفتي صاحب ورئيس تحرير مدونة الصعاليك، كاتب شبحي قديم، تدثر بجناحي خفاشٍ أسود على مدى ثمانية أعوام، في دهاليز مندى الساحة العربية قبل أن يعلن اعتزاله لظروفٍ أفصح عن بعضها على صدر صحيفة (الحياة)، وآثر دفن معظمها في أعماق نفسه.

شيخ الصعاليك هذا طلق لقبه السابق طلاقاً بائناً، واعتنق الصعلكة كمذهبٍ صوفي قديم، يحث على الزهد والتقشف والصدق مع النفس والآخريين، وقطع الطريق بطبيعة الحال، ولكن على اللصوص وآكلي أموال الناس بالباطل، الذين يشار إليهم بالبنان، وكان الأجر بأن يشار إليهم بفرده حذاءً أجلكم الله، مؤهله العلمي في ذلك غضب جامح، وشدة هائلة لو قسمت على أهل الأرض لوسعتهم، ولبقيت منها فضلة، مستمداً هذه الشدة من قول الحق جلّ وعلا ﴿مُحَمَّدٌ سَأَلَ اللَّهَ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءَ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءَ بَيْنَهُمْ﴾ (الفتح: ٩٢).

عندما ظهر شيخ الصعاليك الخفاش الأسود أحدث ظهوره ضجةً هائلةً كما قيل! واختلفت آراء المراقبين والمحللين والحشاشين والحونشجية في توقيت هذا الظهور المريب، وفي الحكم على سحنة هذا الوغد كما وصفني بذلك أحد رؤساء تحرير صحيفةٍ محليةٍ! فمن قائلٍ أدى دوره وأسقط بضعة مطلوبين أمنيين في شباك الحكومة! ومن قائلٍ: ظهر بعد أن قبض الثمن سيارة نقل (ونيت) محملةً بالحبوب والبطيخ، وطائفة قالت: طالب شهرةٍ موعود بزواويةٍ حادةٍ، ورابعةٌ قالت: مريض متناقض بذيء، وخامسةٍ لطمت وبكت ومزقت ثيابها واجتمعت خلف قبة سامراء، عاويةٌ باسم المهدي المنتظر، الأستاذ أبو الحسن العسكري، باعتبار الاسم الشخصي لمحدثكم فأنا (حسن)، وهو أبو حسن والدي يرحمه الله! وسادسة قالت فيّ ما لم يقله مالك في الخمر!

كنت أقرأ تحاليل القوم، وأنصف مختلف الصحائف السوداء والرمادية عن طريق الشبكة، وأرصد وأجمع وأضحك، أو أتمنى أن أرى سحنة الأخ الكاتب، هل هو إنسان يمشي على قائمتين، أم مخلوق آخر يمشي على أربع قوائم لا قدر الله؟! إذ أن ما كتب فيّ يفتقد إلى الصدق والمنطق والموضوعية، لكنها أضغان القوم مارت في نفوسهم كمور بركان فيزوفٍ بمدينة بومباي الإيطالية.

مرّت بيّ مدة كمونٍ ونقاهاةٍ وتحصينٍ ورسمٍ للخطط ووضعيّ للإستراتيجيات، وأصابني الركود بالمرض والإرهاق، وتلاعب بيّ الكسل، حتى اختمرت الفكرة، وتجلّى لي المبدأ، واتضح لي السبيل،

فكان الانعتاق والاعتناق، انعتقت من خفاشي الأثير، واعتقت الصلعة
 بعد بياتٍ شتويٍ طويلٍ في أوكار الخفافيش، مع الشكر الجزيل لها
 على احتضانها لي لعدة سنواتٍ، وعدت إلى الشبكة والعود أحمد،
 لتسليط الضوء على المشبوهين، ومزاحمة المفسدين، وكتم أنفاس
 الحساد، والمساهمة ولو بكلمة في نصيحة صادقة، أو شتيمة فادحة
 لمن يستحقها من أعداء الدين والوطن ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ
 قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَأَخْرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا
 تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾ (الأنفال: ٦٠).



قصة العشق والاعتزال!

ربما يكون الكاتب الإلكتروني حسن مفتي المحرض الأكبر للكتّاب والصحافيين على نعت فرقائهم على «الإنترنت» بـ «خفافيش الظلام»، إذ كان مفتي - بحسب المعلومات المتوافرة - أول شخص أطلق على نفسه لقب «الخفاش الأسود» على الساحة السياسية، وراح يلسع ذات اليمين وذات الشمال، قبل أن يعتقله الجهاز الأمني في بلاده، ليعود كما يقر بنفسه أكثر إنصافاً ووسطية.

وفي حوار مع «الحياة» أعلن أنه قرر اعتزال منتدى «الساحات»، الذي عرف من خلاله كاتباً ساخراً، تدفعه العاطفة والرغبة في الانتقام والغيرة الدينية أحياناً، إلى مجاوزة الحد في نقد أشخاص وجهات عدة. على حد إقراره.

وأكد أن قرار اعتزاله لا رجعة عنه، وإن وثق بأنه سيفسر بحسب أهواء قرائه، «كما فسروا من قبل ثنائي على الحكومة بعد خروجي من السجن، وراحوا يرددون أنني عميل». واعتبر والدته وزوجته أول من سيفرح بهذا القرار الذي تكتّم عليه، ويعلنه للمرة الأولى عبر «الحياة».

وحول التجربة الجهادية التي سبق أن خاضها في أفغانستان نهاية التسعينيات من القرن الماضي، أكد أن الصورة المثالية لذلك الجهاد اهتزت في نفسه، عندما حاصرته كتيبة «حزب مسلم»، ومزق رصاصها أحشاء بعض زملائه، فيما نجا هو وآخرون بأعجوبة، «عند ذلك قلت: إن هذا ليس مكاني، فغادرت أفغانستان».

ومع إصرار العلماء السعوديين في ذلك العهد على إبقاء صورة «الجهاد الأفغاني» نقية في نفوس الجماهير، التي كانت تتبرع للمجاهدين بالبلايين، نذر حسن مفتي وقته لتوعية الناس في مساجد الرياض بالصورة الجديدة «السلبية» المغيِّبة عنهم حول الجهاد الأفغاني، الذي كانت تضج كل المنابر آنذاك بتعداد كرامات رجاله!

واعتبر أن كل المحاولات التي أعقبت أفغانستان لم تكن بعيدة عنها، في البوسنة والشيشان وأفغانستان (الثانية) والعراق وغيرها، ولذلك لم أذهب ولا أعتقد أنني سأذهب للجهاد في أي موطن، بعد أن أدركت أن «السعوديين غير مرحِّب بهم في أي مكان يذهبون إليه، وأن الجهاد قائم في الجملة على مصالح شخصية وأهواء حزبية». وحول التجربتين «الإنترنتية والأفغانية» مزيد من التفاصيل في الحوار الآتي معه.



الاعتزال الصعب

بداية هل لـ «الخفاش الأسود» وحضوره في
منتدى الساحة السياسية قصة؟

- «الخفاش الأسود» مجرد إنسان عادي يتوارى خلف هذا الاسم المستعار، وقد دفعتني للمشاركة في الإنترنت الرغبة في الدخول إلى هذا العالم واستكشافه، لأنه كان عالماً وهمياً بالنسبة إلينا في المملكة العربية السعودية، فخضت مواقع المحادثات كغيري، وكنت أعتقد في ذلك الوقت عام ١٩٩٩م أن الإنترنت محصور في هذا الجانب المظلم مع الأسف الشديد، ثم عرفت بعد ذلك أن هناك مواقع ومنتديات لتبادل الآراء السياسية وغيرها .

ما مدى تأثرك بمواقع المحادثات أو «الشات» كما يطلق عليه، هل تزوجت من خلاله، أو ساءت علاقتك بزوجتك، أو كنت متديناً، فأصبحت غير ذلك كما حدث لكثيرين ممن ولجوا إلى هذا العالم؟

- لا، لم يحدث لي شيء من هذا ولله الحمد، ولكن سلبيته كانت

بالنسبة إليّ في إضاعته لوقتي وعدم الجلوس مع الأهل والأولاد
كما كان في السابق، حتى كدت بذلك أتعرض لسخط والدتي
وفقدان زوجتي!

إلى أي شيء كنت متعطشاً أنت ومجموعتك؟

- بالنسبة إليّ كان لدي شيء من الفضول لاستكشاف أي جديد، أما
جانب الكتابة فكان في البداية شيئاً شخصياً أكتبه لنفسي في دفتر
أو على غلاف كتاب أو ما شابه ذلك.

إذن متى اتخذت اسم «الخفاش الأسود» اسماً

لك وأصبح يحتل موقعاً على الساحات؟

- عندما أدركت أن في الإنترنت عوالم أخرى أشمل وأوسع من عالم
المحادثات الضيق، وهي المنتديات التي تناقش مختلف القضايا،
قررت بلا تردد الانضمام إلى منتدى «الساحة العربية» وكان أول
منتدى أتعرف عليه عن طريق الإنترنت.

هل انتقلت معك المجموعة التي ارتبطت بها في

الشات؟

- لا، بل على العكس انقطعت علاقتي بهم، وبدأت في عالم جديد من
الحرب مع الأشباح، وكنت في بداية الأمر شاركت بـ ٣٠ معرفاً!

ولكن لماذا اخترت اسم «الخفاش الأسود»

بالتحديد؟

- في تلك المدة كانت الأسماء الحاملة والرومانسية تسود المنتديات، وبسبب نزعتي التمردية اخترت هذا الاسم عشوائياً؛ لأخالف النمط السائد.

يبدو أن هناك منظومة معينة تسير معها في نسق معين حتى قبل الساحة السياسية، فهل هم مجموعة من الأصدقاء أم الأقارب أم مجموعة من الأسماء المتكررة بـ «الخفاش الأسود»؟

- لا هذه ولا تلك، وإنما علاقات نشأت في المنتدى الذي كان أشبه ما يكون بالبيت الواحد، وكان بيننا نوع من التوافق في المنهج والأفكار من دون تنسيق مسبق!

من يطالع ملفك في الساحات يلاحظ أنك حتى عام ٢٠٠٥ لم تكن لك مشاركة واحدة في الساحة السياسية، وإنما كانت في الساحات الأدبية والطبية والكومبيوتر والأصدقاء، فما الأسباب؟

- (ضاحكاً) هذه معلومة استخباراتية، كنت أشارك ولكن باسم آخر بسبب غضب العائلة من تجاوزي للخطوط الحمر في مناقشة بعض القضايا، وهذا الاسم هو «مدعي عام المحكمة» ولم يمكث طويلاً حتى جاء بعده «قناص الصحراء» ثم اسم «الجبة والعمامة» ثم ما قبل الأخير «أنيس هتشكوك» ثم عدت لاسم «الخفاش الأسود» لأنه أول اسم عرفت به.

إذن غياب «الخفاش الأسود» في المرحلة المشار إليها كان تكتيكاً؟

- هذا صحيح، كما أن نزعتي في البداية لم تكن سياسية، ولكن بعض الأحداث تجبرك على التفاعل معها أحياناً بحكم أنك فرد في المجتمع تتأثر بما يتأثر به، وبداية دخولي للساحات كانت للتعويض عن خواطري؛ حتى لا تظل حبيسة الدفاتر وأيضاً لتخضع للمشاركة، سواء كان بالقبول أم الرفض، ولكن مع الوقت وجدت نفسي شخصاً آخر!

في المدة المبكرة بعد عام ٢٠٠١م كنا نجد لك تعليقات رومانسية وعاطفية وقصص حب وأشياء من هذا القبيل، ما الذي انتزع «الخفاش الأسود» من هذا الواقع الذي كان يعكسه في السنوات الأولى؟

- لا يمكن للإنسان أن يعيش حتماً رومانسياً مدى الحياة؛ لأن الشأن الاجتماعي والسياسي أصبح يتغلغل داخل المجتمع من أقصاه إلى أقصاه، رجالاً ونساءً، صغاراً وكباراً، لا تستطيع مقاومته كثيراً، حتى تخرجك من البوتقة التي تريد أن تحصر نفسك فيها، رغمًا عنك.

كيف تصف لنا هذا الميدان بعد أحداث ١١ أيلول (سبتمبر) لأن الساحة السياسية، ينظر

لها الكثيرون على أنها المثل الأعلى للجناية
خصوصاً في ذلك الوقت ضد المجتمع، وأنت
تصنف نفسك معتدلاً؟

- من المؤسف أن تصل الأوضاع في المنتدى إلى هذه الدرجة، وأن يصل بنا الأمر إلى حد تجريد إخوة لنا من دينهم ومعتقداتهم لمجرد أنهم أصدروا فتوى أو آراء تخالف أهواءنا، وبالنسبة إلي كان خطي واضحاً لا يميل إلى هؤلاء ولا إلى هؤلاء، وكان اعتقادي وما أدين به لله أن تلك التصرفات تتنافى مع الشريعة ولبها، وعندما بدأت الأحداث الإرهابية في وطننا كان موقفي أنا وبعض زملائي واضحاً، ضد العنف جملة وتفصيلاً، وصرحت بهذا في أكثر من مقال.

إذا حصرنا الحديث في «الخفاش الأسود» فما
رأيه في الساحات نقصد «الساحات السياسية»؟

- هو منبر لا يستهان به مهما اختلفنا معه أو رفضنا بعض ممارساته، وله حضوره وتأثيره في المجتمع، ولا أستطيع أن أجزم بنوايا أصحاب الساحات، ولكنها في جملتها لم تكن ضد هذا الوطن في نظري.



مراحل وتحولات على الطريق

لندع الساحة جانباً ونأت إلى حسن مفتي
أو «الخفاش الأسود» ما المراحل التي مر بها
خطابك في الساحات؟

- المرحلة الأولى: كانت تتسم بعدم الموضوعية وتجاوز جميع الخطوط الحمراء في مناقشة القضايا، والإسراف في نقد الدولة ونقد أشخاص معينين في كثير من الأمور التي كنت غير راض عنها، وللأسف لم يكن هناك من يوجهه أو يقوم وإنما كان التصفيق والتأييد على أشده.

المرحلة الثانية: كانت بعد إلقاء القبض علي في غمرة العمليات الإرهابية، بسبب كتاباتي الانفعالية على الإنترنت، وإن كانت لا تتبنى فكراً معيناً، وتبين هذا في أثناء التحقيق معي، وتم التعامل معي بكل احترام وتقدير، وعندما نقلت هذا الجانب المشرق أنا وآخرون ممن تعرضوا لتجربتي نفسها إلى الساحة، كانت ردود الفعل في جملتها إيجابية، إلا أننا اتهمنا من بعض الناس بأن الدولة دفعت لنا ووظفتنا وبأننا عملاء.

على هذا التفكير، الذين يشتمون عملاء، لمن ؟

- المنطق في كثير من الأحيان لا يحظى باحتفاء في المنتديات.

بأي شيء أفادك السجن حتى تؤرخ لمرحلتك

الثانية بالخروج منه؟

- أولاً: أعطاني صورة جيدة عن المسؤولين في الدولة، ثانياً: قضى على جرثومة الخوف من دخول الزنازين لأي سبب كان، ثالثاً: أطلعني على مستوى الأزمة التي يمر بها الوطن، وما يحاك ضده ويتعرض له من أحداث خطيرة، كذلك أشعرتني السجن بمسؤولية نحو ما أكتب، لا سيما خطاب الأمير محمد بن نايف الذي وجه إلي عتاباً رقيقاً أخرجني كثيراً.

ولكن سرعان ما أذهب التصفيق في الساحة من

جديد تأثرك بهذا الخطاب؟

- لا، لم يكن الأمر بهذه الصورة، ولكنني انقطعت عن الساحة بعد خروجي من السجن قرابة السنة، وعندما عدت كانت هناك أحداث أخرى ألهمت الجميع عن الشأن الداخلي، كقضية العراق وأفغانستان وهي أحداث تدفع للحدة من دون شعور، كما أن تعاطي الأشخاص الذين نختلف معهم مثل التيار الليبرالي مع بعض القضايا، يدفعني شخصياً إلى استخدام ألفاظ أندم عليها فيما بعد وأتمنى لو لم أكتب مثلها، فمقالتي عن معرض الكتاب - مثلاً - ندمت عليها جداً وتمنيت لو تمكنت من إعادة صياغتها أو حذفها، بسبب بعدها عن الموضوعية والعدل!

| ولماذا لم تقم بذلك؟

- أنا في الحقيقة بعدما نشرت المقالة وقرأها بعض أساتذتي اتصلوا بي ورؤوا أنها غير منصفة وكتبت بلغة عنيفة جانبت الصوت، وعلى الفور تأملتها، فوجدتها كما قالوا، فطلبت من مشرف المنتدى أن يحذفها، لكنه رفض بعد محاولات عدة، وذلك ما أغضبني وجعلني أصرف النظر عن الموضوع، وكان مما دار من نقاش بيننا قولي له: تتصرفون في حذف مقالاتنا أو تعديلها من دون الرجوع إلينا، وعندما نطلب ذلك نحن ترفضون، أي عدل هذا!.



الساحة مرحلة انتمت

سأترك للقراء تفسير هذا الموقف على طريقتهم،
ولكن ماذا بعد؟

- ما بعد، هو أنني قررت الرحيل عن الساحات ليس بسبب الموقف الذي ذكرته لك آنفاً، ولكنني اليوم أعتقد أنني وصلت إلى مرحلة الوداع الأخير بعد أن كان التحول والتدرج نحو هذه الخطوة بدأ على قدم وساق منذ خروجي من السجن، أما الساحة فلها فضل لا أنكره ليس علي أنا وحدي، بل على الكثير من الكتاب، ولكن على الصعيد الشخصي أعطتني تطور الأسلوب والرفقة والزملاء الذين لا تقدر معرفتهم بثمن، وسلبت مني الكثير والكثير من الوقت والاستقرار العائلي ونمط التفكير والعيش بهدوء.

| هل نستطيع الآن أن نقول: إن عهد الساحة ولى؟

- أتمنى أن يكون كذلك، لأنها سلبت مني وقتاً وتفكيراً بلا ثمن، فعلى مدار سبعة أعوام هي عمري في الساحة كنت أصحو وأنام على هاجسها، والنتيجة كانت الكثير من الخسائر بلا فوائد تساوي ما تعرضت له من معاناة!

هل كان صدور مجموعتك القصصية «انتحار حمار» خلف تصورك بأن الساحة ليست الخيار الأنسب «لحسن مفتي» في المرحلة المقبلة؟

- لا يمكن أن أبقى حبيساً لاسم شبحي، فلا بد أن أظهر وأعيش في النور كسائر الناس، أما الساحة فهي مرحلة انتهت، ولكن يبقى لها فضل علي في بعض الجوانب، ومن ضمنها تسويق الكتاب، إلا أن التحدي الحقيقي هو في إثبات وجودي بعيداً عن الساحة، إذ أرفض أن أختزل نفسي فيها.

هل تزامن صدور «انتحار حمار» مع كشف النقاب عن حقيقة «الخفاش»، بدافع فكرة ما، أم جاء هكذا عرضاً؟

- بدأ اسمي الحقيقي يتردد بعد خروجي من السجن، ولكن بعد نشر الكتاب كان لابد من الإعلان عن شخصيتي؛ حتى لا أبقى خلف الستار ولأثبت حقي، وبالمناسبة أنا فكرت في استشارة اختصاصي للخروج من هذا العالم الوهمي الافتراضي الذي أعيش فيه (الإنترنت).



يد الصفح ممدودة لخصومي!

أنت الآن في معركة الخروج والانعتاق من هذا العالم، إذا نجحت، هل تعتقد أن العالم الخارجي سيقبل «الخفاش الأسود» الحقيقي، وقد شتم هذا وغمز ذلك... إلخ؟

- لا يعنيني العالم الخارجي بقدر ما يعنيني الرضا عن الذات، والعالم الخارجي إن كان موضوعياً، فسينظر لي نظرة موضوعية، لأنني ولله الحمد لا أحمل حقداً على أحد، وإن كانت مقالاتي حادة إلا أنّ حداثتها تنتهي بانتهاء المقال، ولو قابلت خصمي في الشارع لما ترددت في السلام عليه طالما أن ديننا واحد!

وماذا عن زملاء الساحات والانعتاق منهم، وعن وسائل الإعلام التي من المفترض أن تعوضك عن ذلك العالم المليء بمغريات الحرية؟

- بالنسبة لزملاء الساحة، فهم على قسمين: قسم بيني وبينه أواصر معرفة خارج حدود الساحة، وهذه ستبقى مدى الحياة؛ لأنني أعتقد أنها بنيت على أسس موضوعية سليمة بعيدة عن

المصالح الشخصية والرغبات والأهواء، ولم تكن الساحة سوى مفتاح لها .

القسم الثاني: شريحة لم ألتق بها وتُكن لي كل حب ومودة، فهذه أعتقد أنها ستتفهم الضغوط التي أعاني منها على الصعيد العائلي، كما أنني أعتقد أنها إن كانت تريد لي الخير، فسترحب بهذا الانسحاب، وستدعو لي بالتوفيق وربما تراجع هي أيضاً نفسها .

أما بالنسبة للجانب الإعلامي فلا أستطيع التقويم؛ لأن هناك خلافاً بين عالم الأشباح الذي كنا نمثله على الساحات في الإنترنت وبين عالم الإعلام والصحافة الذي يمثله أشخاص معروفون، لأنهم ينظرون لنا نظرة ازدراء واحتقار، ومن وجهة نظري، فإن تعاطي أي جريدة أو مجلة مع أي كاتب «إنترنتي» بغض النظر عني أنا، هو أمر إيجابي فقد ترتقي به، وقد يفيدها هو أيضاً .



ودعت الأشباح؛ لأظهر باسمي وصورتي!

هل أفهم من هذا أن اعتزالك الساحة لا يعني
اعتزالك الصحافة والكتابة؟

- بلا شك، فقد ودعت عالم الأشباح؛ لأظهر على الحقيقة باسمي
وصورتي، ولا يعني اعتزالي الساحة للإعلام؛ لأنه عالم
واسع غير مختزل في المنتديات ولا في الصحافة الورقية، ومن
ضمن ما أدرسه الآن إمكان إنشاء موقع إخباري أشرف عليه
ويتعاطى مع كل المواضيع بمنتهى الشفافية والموضوعية.

دعنا الآن ننتقل إلى بعض الأفكار التي تروج لها
في مقالاتك، يلاحظ أنك تنتقد من يوصفون
بالليبراليين، وسط غض طرف تام عن الطرف
الآخر، لماذا؟

- أتفق معك على أن العدل أحياناً يغيب، إما لقصور في النظر،
أو لضغوط معينة، ولكنني مع ذلك أنتقد أي طرف أعتقد أن
ممارساته مخالفة لما أعتقده من دون التفكير في انتمائه الإسلامي
أو الليبرالي، والدليل على ذلك مقالتي عن صدام التي ابتعدت فيها

عن الرثاء والتباكي، وذلك ما جلب لي سخطاً كبيراً من القراء، حتى كاد (إيميلي) يتفجر احتجاجاً و غضباً .

الآن وبصراحة، «حسن مفتي» ماذا يحركه لهذه الكتابات، هل هو انبعاث شخصي أم توقع أن يجد هذا الكلام صدى غير منقطع؟

- أحياناً يكون انبعاثاً شخصياً مغلفاً بالغيرة الدينية، وأحياناً يكون انتصاراً للنفس، وهذا موجود ويكثر في مقالاتي، ولا أنكر هذا، وفي النهاية الكاتب بشر، يكون موضوعياً تارة ويحتد ويخرج عن شعوره تارة أخرى، ولكن الدافع الأقوى في مواجهتي لأي فكر، سواء كان إسلامياً أو ليبرالياً هو دافع ديني، لأنني لا أجامل في مبادئ الأخلاقية، فضلاً عن مبادئ الدينية، وهي على كل حال مرحلة مضت إن شاء الله .

إذن، أنت لا تفضل أن تحاسب على المرحلة الماضية على اعتبار أنها مرحلة كنت فيها حاداً في ردود أفعالك، وتجاوزت فيها جميع الخطوط الحمراء؟

- هذا صحيح، وإن أراد المجتمع أن يحاسبني، فأنا على أتم الاستعداد وأملك الشجاعة لأن أقر بأخطائي .

لو عاد «الخفاش الأسود» لعلمائه وأساتذته، هل كان سيكتب مثل ما كتب من قبل؟

- بالطبع لا، ولذلك وقعت في مأزق كثيرة بسبب الصدور عن رأيي وحدي، وهذا خطأ أتمنى أن يحذر منه الكتاب أو الشباب في كل الاتجاهات.



أفغانستان تجربة (خلافة)

ذُكر في سيرتك الذاتية أنك أحد من ذهب إلى أفغانستان قبل نهاية التسعينيات الميلادية، ما هي القصة؟

- التجربة الأفغانية تجربة خلافة، يصعب الحديث عنها واختزالها بعد مضي أكثر من عقد عليها، ولكن باختصار كان عمري حينها ١٨ عاماً وكنت طالباً في الصف الثاني الثانوي في مدرسة تحفيظ القرآن الكريم في عيشة، وكان المجتمع في تلك الحقبة عام ١٤٠٨هـ يعج بثقافة «الجهاد» المدعوم دولياً؛ لأن المعتدي كان نظاماً شيوعياً أحمق يرغب في فرض المبادئ الشيوعية على الجميع بالحديد والنار، قبل أن أذهب كنت أقرأ وأتابع مجلة الجهاد، والبيان المرصوص التي كانت تتصدر أرفف المكتبات والبقالات، وخطب الجمعة التي كانت تتحدث عن الجهاد والمجاهدين، فقررت بعد الانتهاء من اختبارات نصف العام الذهاب لأفغانستان للجهاد بعد موافقة والدي -يحفظها الله- تحت ضغط وإلحاح، وكانت الجبهات هناك تعج بالجماعات، فوقع اختياري على الشيخ جميل قبل أن أذهب، وبالفعل تم استقبالنا من جانبه في مطار إسلام

آباد، وأذكر أنني من شدة حماستي كدت أمزق جواز سفري، حتى تكون رحلة بلا عودة ولكن من رحمة الله تعالى أنني لم أفعل ذلك، بعد ذلك تم استقبالننا في دار الضيافة هناك، ثم ذهبنا في اليوم المقبل إلى المعسكرات في كونار.

| ما هو أول شيء تدرّبت عليه؟

- في البداية يتم تدريبنا على اللياقة البدنية، واستخدام الأسلحة، وكيفية الدخول للجبهات، والحق يقال كان معسكر الشيخ جميل مميّزاً من حيث الانضباط والتدريب المتلازم مع العلم الشرعي، وكان حريصاً على عدم الدخول في نقاشات حول تكفير الحكام أو شيء من هذا القبيل.

وآخر سلاح تدرّبت عليه فرقتي، كان مدفع ٧٥ وهو مضاد للدروع، أما أنا فكان تركيزي على استخدام الرشاش؛ لأنه السلاح المرافق لك دائماً هناك.

| كم استغرق التدريب؟

- لم يدم طويلاً وأعتقد أنه استمر قرابة الشهر، ثم انتقلنا من المعسكر إلى الجبهة، ولكن في تلك المدة لم تكن هناك مواجهة، وإنما قصف متبادل بين مواقعنا ومواقع الشيوعيين؛ لأن المواجهة كانت تحتاج إلى تخطيط، وإعداد، وجهد مادي وبدني.

قلت هذا ليس مكاني!

| وماذا بعد؟

- انتقلت بعد ذلك إلى المرحلة الثانية التي كانت مرحلة الرباط والترصد، وخدمة المجاهدين في الجبهة، وحفظ القرآن وتعليمه، وأكثر ما كنا نخشاه المنافقون، وبعدها قرب انتهاء الإجازة المدرسية عدت لإكمال دراستي، ولما أنهيت الاختبارات النهائية عدت إلى أفغانستان من جديد، ولكن ما إن وصلنا حتى بلغنا أن صدام احتل الكويت وأن أسامة بن لادن يستتفر الشباب للدفاع عن الوطن، فعدنا مباشرة مع من عاد، ولكننا لم نجد أي تنسيق فعاد كل منا إلى منزله، ولم أغادر المملكة إلا بعد انتهاء الأزمة، وعدتُ إلى أفغانستان وكانت المرة الأخيرة؛ لأننا حين عدنا كانت هناك فتنة بين الشيخ جميل -رحمه الله- وبين بعض قادة الجهاد في أفغانستان، وعلى رأسهم قلب الدين حكمت يار.

وكان من المؤسف أن اضطرر إلى تحويل الأسلحة من مواجهة الشيوعيين إلى مواجهة مسلمين، وعندها وصلتُ إلى قناعة بأن هذا ليس مكاني، وكانت هناك مفاوضات لإخراج المجاهدين العرب

إلى باكستان، أو إلى جبهات أخرى أو إلى بلدانهم، وكنت ضمن أول مجموعة خرجت من أفغانستان إلى أوطانها، وقبل أن نخرج من الحصار كان الشيخ جميل قد قتل، وبعد تركنا أفغانستان بستة أشهر تقريباً سقطت كابول.

لماذا طابت نفسك بترك الجهاد في ذلك الوقت،
وقد ذهبت في أشد الحماسة إليه؟

- لأنني كنت أخشى أن أدخل في فتنة أقتل فيها مسلماً، ولا شك أن مقتل الشيخ جميل أيضاً كان حدثاً جليلاً، ولكن لأننا كنا محاصرين في الجبهة من جانب كتائب حكمت يار، ولكثرة القتلى بيننا ولشدة الضغط الذي نعيشه، استقبلنا خبر اغتياله ببرود.

وكيف انجلى الحصار؟

- انجلى الحصار بعملية صلح تدخل فيها السفير السعودي وبعض المشايخ وطلبة العلم وبعض المسؤولين في الأحزاب، كما سمعت أن أسامة بن لادن كان طرفاً فيها أيضاً، وكان الاتفاق على الانسحاب المبدئي للعرب، فوجدنا فرصة، وطلقنا تلك الحقبة بالثلاث!

ولكن هذا موقف تعرض له الكثيرون، فبقوا
حتى فتحت كابول وبعد ذلك... ما الذي دفعك
إلى الخروج أنت... أهزمت نفسياً؟

- قررت الترك نهائياً، لأن الصورة المثالية للجهاد بالنسبة إليّ تغيرت، ولن تفلح أي صورة أخرى في إعادة رسمها، وحين عدنا كنا ننصح

من جانب المشايخ بعدم الحديث عما تعرضنا له هناك، حرصاً على جمع الصف، ولكنني في الحقيقة لم ألتزم بهذا، لأنني تعرضت لظلم، ورأيت أن توضيح الحق للناس واجب، فمضيت أخطب في المساجد، وأتحدث إلى الناس في المجالس، لأبين لهم أن الجهاد الأفغاني ليس مثالياً كما يتصور بعض الناس.

ألم يردُّ إلى ذهنك أنها مغادرة قد تكون فراراً من الزحف؟

- لا، فأنا لم أفر من الزحف، وإنما أجبرت على الانسحاب والخروج من الجبهة، وغادرت أفغانستان بالكلية، لمبرر معتبر شرعاً، وهو أن الجهاد الذي جئنا للقيام به ليس موجوداً على أرض الواقع، مصالح وحسابات، واغتيالات بين المسلمين!

وصلت السعودية، ثم ماذا؟

- نعم، وصلت، ولو مزقت جوازي كما هممت أن أفعل لكانت العودة شائكة، ولكنني عدت بسهولة وأكملت دراستي، ثم قامت بعدها حرب البوسنة والهرسك، وكدت أذهب، ولكنني قابلت أحد الإخوة السابقين في أفغانستان، وكان عائداً من هناك، فقال لي: «أنصحك بعدم الذهاب؛ لأنك ستري في البوسنة أشد مما رأيته في أفغانستان» فاعتبرت بكلامه ولم أذهب. وبعد تخرجي في الثانوية تزوجت وأصبح لدي نوع من الاستقرار، وإن كان الخروج للقتال يلازم فكري من حين إلى آخر في ظل الجبهات المشتعلة في

الشيخان، والبوسنة، وكشمير إلا أن الإنسان كلما تقدم به العمر وازداد ارتباطاً بالأسرة والمجتمع أدرك أن هناك جهاداً من نوع آخر، وربما كان أشد ضراوة من ذلك الجهاد.

هل يعني هذا أن الزواج يساعد على طرد هاجس الجهاد لدى الشباب؟

- لا شك في أن الزواج سكن واستقرار، وحين يلقي الإنسان من يسكن إليه يكون هذا مدعاة أكبر للاستقرار والبقاء!

وماذا عن النفس الجهادي بعد أحداث ١١ سبتمبر؟

- بعد أحداث ١١ سبتمبر كنت أنصح من يأتي لاستشارتي بعدم الذهاب؛ شفقة عليه من بطش الرد الأميركي على أفغانستان بسبب ضرب أبراجها.

وبعد غزو العراق؟

- أعتقد أن الوضع في العراق أعقد بكثير، لأن المواجهة فيه كانت واضحة، وكانت هناك تهديدات مبكرة وتحضير، وكنت أنصح من يستشيرني بعدم الذهاب أيضاً، وقلت هذا في الساحات وبعضهم رمانى بالتثييط.

بما أن فكرة الجهاد ما زالت قائمة، ولكنها محاطة بالضبابية... لماذا لا يزال بعض الناس ينقر فوق هذا الجرس؟

- من يدعون الجهاد على فريقين: فريق يتهم المؤسسات الدينية الإسلامية بالقصور في نصره قضايا الأمة ولو ببيان، وبالتالي يرى أن عليه نصره هذه القضايا بالخروج للقتال، وآخر يرى أن المسلمين نالوا من الذل والقهر والقتل ما نالوا، فيحمل سلاحه ليس من أجل الموت في سبيل الله، ولكن للانتقام من الغزاة، وهناك من ذهب إلى العراق - مثلاً - زاعماً أنه يجاهد وهو لا يصلي!

التحريض على الجهاد بهذه الصورة دفع بكثير من المتحمسين إلى التخريب في أوطانهم، والقيام بالعمليات الإرهابية، بصفتك عشت هذه التجربة ورأيت عدم جدواها... كيف ترى إمكان التوفيق في هذا الأمر؟

- الإشكالية أن قناعاتك أو قناعات الشيخ أو المرابي لا تستطيع أن تغير شيئاً أمام سيل العاطفة لدى بعض الناس، وفي واقع الأمر يصعب على الإنسان الذي يشاهد المذابح على التلفاز وتمريغ الكرامة في سجن أبو غريب أن يتعامل بعقل.

أفغانستان أصبحت عاراً يلاحقنا!

كنت شخصاً له تجربة جهادية... كيف تنظر
للأحداث الإرهابية التي بدأت ولم تنته بعد في
السعودية؟

- بالنسبة إليّ أنا ضد العنف جملة وتفصيلاً، وبخاصة ما كان على أرض الوطن، لا سيما أن عندنا من المشكلات ما يفينا عن فتح باب آخر لها، كما أنه ذهب في هذه العمليات أشخاص مسلمون، فضلاً عن الأجانب المستأمنين والمعاهدين، إضافة إلى تزعزع الأمن في البلاد، وبلا شك كان لها أثر سلبي من حيث إساءة هذه العمليات للجهاد في حد ذاته، وللمجاهدين السابقين، ولأفغانستان التي أصبحت عاراً يتبرأ منه الجميع.

إذن... هل تعتقد أن السفر إلى خارج البلاد لأي
جهة كانت بدافع الجهاد فكرة غير مناسبة؟

- ما رأيناه حتى الساعة يثبت أنها تجارب فاشلة، والإشكالية أن الوجود السعودي الجهادي بالذات غير مرحب به إطلاقاً، ولا يستطيع أحد أن ينكر هذا الكلام.

إذن فلماذا الإصرار على هذه الفكرة مع أنها
أثبتت فشلها كما قلت؟

- لأن هذا نوع من اتباع رغبات النفس التي لا ينفك عنها الإنسان
حتى يقتل، أو يشحن إلى إحدى المعتقلات!

ما دعوتك لشباب الوطن، وأنت أحد الذين
سبقوهم إلى الجهاد؟

- أنا أدعو أي إنسان قبل أن يغامر أن يتقي الله في نفسه أولاً، ثم
في أهل بيته من والدين وزوجة وأولاد ثانياً، ثم يتقي الله في وطنه
ولا يأخذ المسألة بعاطفة أو هوى.

هل تتوقع أن تخرج من المملكة في يوم من الأيام
للجهاد مرة أخرى بعد التجارب الماضية؟

- لكل قضية أركانها وأبعادها، وفي الوقت الحاضر هذه الفكرة
لا تراودني بتاتاً؛ لأنني أعتقد أن العمل الخيري أو الدعوي، أو
الجهادي غير محصور في القتال، فهو عمل واسع المجالات في
الدين.

قراري غير خاضع للمساومة

أدرك أن خبر اعتزالي الساحة سيكون وقعه صعباً وحاملاً لتفسيرات سيئة لدى بعض الزملاء في المنتدى الذي كنت أكتب فيه، إلا أن فرح والدتي وزوجتي به وقناعتي به سيعوضني عن أي جفاء قد أتعرض إليه.

والذي أتوقعه أن ردود أفعال الناس ستبتاين بحسب أخلاقهم وأفكارهم، وستكون هناك اتهامات، وقبول ورفض، وبالنسبة إلي لا أخشى من رد فعل أحد، ليس في الساحة فقط، بل حتى في المجتمع؛ لأن هذا قرار شخصي اتخذته بعد تفكير طويل ومراقبة ودفع ثمن تلك الكتابات التي خسرت بها الكثير والكثير. وفي كل الأحوال، هذه قناعتي وليست خاضعة للمساومة أو لإغراء الآخرين، ومن يعرفني عن كتب فسيديرك أنني لا أغير قناعاتي لإرضاء الناس.

أما رسالتي الأخيرة لكتاب الإنترنت فهي: ينبغي على الإنسان ألا يقوم الأشخاص وفق موقف يراه أو يتخذه، وألا يتهم أحداً في نيته أو مبادئه أو عقيدته، بسبب وجهة نظر يتبناها، ولكن ينبغي تغليب جانب حسن الظن بالناس دائماً. وثانياً: أقول للإخوة كتاب الساحة

ينبغي التعاطي بموضوعية مع الأحداث، وعدم التسرع، وضبط النفس، وتقوى الله تعالى في إصدار الأحكام، والجانب الأهم الذي نغفل عنه جميعاً هو جانب محاسبة النفس، لذلك ينبغي أن يكون لدى الإنسان أرشيف يحوي جميع كتاباته؛ حتى يعود إليها من الحين إلى الآخر ويقوم نفسه، فإن كان على صواب عزّزه، وإن كان على خطأ أو تقصير، وهو الغالب فليحاول أن يصحح هذا الخطأ أو التقصير. (وقد حدث ما توقع).

